بسم الله الرحمن الرحيم

التكتّل

عندما تتوالى المصائب على الأمة، وتتتابع عليها الأحداث، ويسود فيها الظلم، ويُوسّد الأمر الى غير أهله، يبدأ الناس بالتذمر. ثم ينتقل هذا التذمر الى إحساس عام بالظلم. فيتجسد هذا الاحساس في بعض الناس بحيث يدفعهم الى الحركة لدفع الظلم، وإبعاد الفساد، ورفع شأن مجتمعهم وأمتهم، والنهوض بها الى المستوى الذي يتمنون الوصول اليه. ومن البديهي أن يلجأ هؤلاء الى التكتل لإيجاد القوة القادرة على التغيير حسب تقديرهم، وأن يجتمعوا على هدف او فكرة يلتقّون حولها تتضمن أهدافهم وخط سيرهم. وبالنظر الى ما يعانيه عالمنا الاسلامي من انحطاط وتأخر، وما يقاسيه من ظلم وتعسف، فقد تتابعت فيه الحركات التي استهدفت وقف تدهوره، ورفعة شأنه، والنهوض به الى المرتقى السامي الذي يليق به. إلا ان هذه الحركات جميعها منذ ما يزيد على مائة سنة قد فشلت في تحقيق ما تصبو اليه. والدليل على فشلها، واقع عالمنا الاسلامي اليوم. فقد استمر في انحداره حتى بلغ الحضيض او كاد، ولم نحصل من تلك الحركات الا على هذه الرغبة الجامحة العارمة في التغيير. فنستطيع ان نقول ان خير ما تركت لنا تلك الحركات هذا الشعور العام بالرغبة في التغيير، ولو أنها كادت ان تصل بالأمة الى حد اليأس. الا ان الناظر في الأمة يجد انها ما زالت أمة معطاءة كريمة تجود بفلذات كبدها في سبيل الخلاص مما تعانيه، كلما أحست ان هناك طريقاً للخلاص، او ان هناك قيادة موثوقة تسير وراءها.

والناظر في هذه الحركات، والمتتبع لهذه المحاولات يجد انها لم تكن أعمالاً فردية. وانما هي تكتلات او تنظيمات تكتلت على فكرة معينة من اجل تحقيق هدف معين. ومع ذلك فقد فشلت.

أسباب فشل الحركات والمحاولات السابقة

ولمعرفة أسباب الفشل كان لا بد من دراسة هذه الحركات من ناحيتين:

1-الناحية الاولى هي الفكرة والهدف الذي جرى التجمع من أجله. هل هي فكرة صحيحة أم خاطئة؟

2-أما الناحية الثانية فهي الناحية التكتلية. ولا نعني بالناحية التكتلية النظامَ الداخلي لتلك الكتل. وإنما الأسس التي يقوم عليها أي تكتل، بغض النظر عن الفكرة التي يتبناها او الطريق الذي يسلكه.

فالتكتل، أي تكتل، إنما يقوم على أسس أربع هي:

أ-الفكرة التي تضمنت الهدف والتي يتم جمع الناس عليها،

ب-الطريقة التي يسلكها هذا التكتل في سبيل الوصول الى غايته،

ت-الأشخاص القائمين على هذا التكتل ومدى ايمانهم بفكرته وطريقته،
ث-الكيفية التي يتم بها انضمام الناس الى هذا التكتل.

وأي خلل في أي أساس من هذه الأسس سيؤدي حتماً الى الفشل في الوصول الى تحقيق الغاية التي يسعى التكتل الى تحقيقها. وبإلقاء نظرة فاحصة على جميع الحركات التي حصلت طيلة القرن الماضي، نجد أنها جميعها قد فشلت من ناحية تكتلية بسبب إهمالها لهذه الأسس.
حيث أنها:
•كانت تقوم على فكرة عامة غير محددة. حتى أنها كانت غامضة، او شبه غامضة، علاوة على انها كانت تفتقر الى التبلور والنقاء والصفاء.
•لم تكن تعرف طريقة لتنفيذ فكرتها. بل كانت الفكرة تسير بوسائل مرتجلة وملتوية، فضلاً عن أنه كان يكتنفها الغموض والإبهام.
•كانت تعتمد على أشخاص لم يكتمل فيهم الوعي الصحيح، ولم تتركز لديهم الإرادة الصحيحة. بل كانوا اشخاصاً عندهم الرغبة والحماس فقط.
•ان هؤلاء الاشخاص الذين كانوا يضطلعون بعبء الحركات لم تكن بينهم رابطة صحيحة، سوى مجرد التكتل الذي يأخذ صوراً من الاعمال، وألفاظاً متعددة من الأسماء.

وسنبحث فيما يلي كل واحد من هذه الأسس بشيء من التفصيل:
1-أنها كانت تقوم على فكرة عامة غير محددة. حتى أنها كانت غامضة، او شبه غامضة، علاوة على انها كانت تفتقر الى التبلور والنقاء والصفاء.

نعم، إن كل تكتل لا بد أن يقوم على فكرة، فإما ان تكون فكرة عامة او فكرة كلية. فالفكرة العامة هي الفكرة التي تصلح ان تكون أساساً للتفكير في اشياء كثيرة تلتقي في أساس واحد. وأما الفكرة الكلية فهي الفكرة التي تصلح ان تكون أساساً لكل شيء. هذا من حيث التفريق بين الفكرة العامة والفكرة الكلية. فالافكار القومية والافكار الاقليمية والافكار الوطنية انما هي افكار عامة لا تشمل كافة نواحي الحياة. لكن الفكرة المبدئية هي فكرة كلية تشمل كافة نواحي الحياة.

أضف الى ذلك أنها غير محددة. فالكتل التي قامت، منها ما وجد على أساس الاسلام (مجد المسلمين)، ومنها ما وجد على أساس قومي (عزة العرب والكرامة العربية)، او على أساس اقليمي وطني (مثل السوري او ...)، او غير ذلك. فهذه افكار عامة ولكنها غير محددة.
فمجد المسلمين، عزة المسلمين، العودة الى الله، التربية الإسلامية، الأخوة الإسلامية، النهضة الإسلامية، النهضة العربية، الاستقلال، الوحدة العربية، الرسالة الخالدة، الى غير ذلك من الافكار او الشعارات، ليس لها

معاني محددة.

فقولنا مثلاً: إعادة مجد المسلمين – غامضة

عزة المسلمين - غامضة

العودة الى الله - شبه غامضة

التربية الإسلامية - شبه غامضة

الأخوة الإسلامية - شبه غامضة، غامضة

النهضة الإسلامية - غامضة

النهضة العربية - غامضة

الاستقلال - غامضة

الوحدة العربية - شبه غامضة

الوحدة الإسلامية - شبه غامضة

وهكذا، فالغموض هو عدم معرفة القصد ولا كيفية الوصول اليه. وأما شبه الغموض فالمعنى معروف، ولكنه غير مبين المعالم، مثل العودة الى الله، التربية الإسلامية.

وأما فقدانها للتبلور، فالبلورة هي الانتقال من حالة الميوعة او السيولة الى الحالة الصلبة. كتبلور الملح من الماء. والمقصود من عدم البلورة أنها كانت عبارة عن مشاعر وعواطف عند حمَلتها، فلم تتجسد فيهم، بل لم يستطيعوا تحديد معالمها لو أرادوا شرحها للناس. ولذلك كانت تعتمد على الشعارات وإثارة المشاعر فقط، كما هي حالها عند معظم الحركات الى الآن.

وأما فقدانها النقاء، فبالنسبة للحركات الإسلامية، لم تدرك هذه الحركات ما أدخل على الاسلام من افكار غريبة، مثل القواعد التي أدخلت في بنية الاحكام الشرعية من الفقه الروماني او الفرنسي. فهناك العديد من القواعد الغربية تدرس على أساس انها قواعد وأسس إسلامية، مثل قاعدة "العادة محكّمة" وقاعدة "الأصل في العقود المقاصد والمعاني" وقاعدة "ما لا يخالف الاسلام فهو من الاسلام" وغير ذلك.
فالنقاء يعني إبعاد الاجسام الغريبة عن الفكرة الأساسية لتبقى سليمة بأصولها وفروعها. وأما الحركات غير الإسلامية كالحركات القومية والوطنية فلم تدرك خطورة ما حملته من افكار غربية غريبة. بل انهم آمنوا بها وأخلصوا لها، مثل الحرية والديمقراطية وغير ذلك. وقد حاولوا ان يفسروا الاسلام بما يتناسب مع هذه الافكار، فادّعوا أنها من الاسلام.

وأما الصفاء فهو وضوح الرؤية. والمقصود هنا بوضوح الرؤية إدراك الصلة بين هذه الفكرة والأصل الذي انبثقت منه او بنيت عليه. فبالنسبة للمسلمين وحمَلة الدعوة فان صفاء الفكرة يعني ان كل حكم شرعي تدعو اليه مرتبط بالدليل الذي انبثق منه، وان كل فكرة تدعو اليها مبنية على فكر أساسي من عقيدة الأمة. ولم يكن

ذلك متوفراً لدى تلك الحركات ولم تستطع ان تفرق بين الشورى والديمقراطية. بل لم تستطع ان تفرق بين ان الشورى حكم شرعي يرجع اليه الانسان للتوصل الى رأي صائب. بغض النظر عما اذا كان هذا الانسان حاكماً او غير حاكم. فالشورى حكم شرعي مندوب، وهي اسلوب للتوصل لما يغلب على الظن بأنه الصواب، سواءا في الحكم او في غيره. وما زلت تسمع من دعاة الاسلام ان نظام الحكم في الاسلام هو نظام الشورى. وبالتالي فهو الديمقراطية الحقيقية.

وأما غير المسلمين من الذين ليس لهم فكرة محددة، فقد كان العمل اكبر وأشد. فأخذوا افكار الغرب كما هي دون إمعان نظر فيما اذا كانت تصلح لأمتهم ومجتمعهم او لا تصلح. وما زالوا على هذا الحال سواءا في افكارهم الأساسية او في اساليبهم.

2- أنها لم تعرف طريقة لتنفيذ فكرتها. بل كانت الفكرة تسير بوسائل مرتجلة وملتوية، فضلاً عن انه كان يكتنفها الغموض والإبهام.

ان موضوع الطريقة ما زال ملتبساً فهمه على جميع الحركات حتى اليوم. بل لا يكادون يميزون بين الفكرة والطريقة، والاسلوب والوسيلة. ويتصورون ان أي عمل من الاعمال هو طريقة. وأدق من ذلك، فانهم لا يميزون بين الطريقة قبل تحقيق الهدف، والطريقة بعد الوصول اليه، والسير في تنفيذ الفكرة.
كثيرا ما نقول ان المبدأ هو فكرة وطريقة. فالفكرة هي العقيدة والمعالجات وحمل الدعوة. والطريقة هي كيفية المحافظة على العقيدة وكيفية تنفيذ المعالجات وكيفية حمل الدعوة. هذا من حيث المبدأ، وأنه فكرة وطريقة. الا ان البحث هنا هو كيفية ايصال هذا المبدأ للحياة ومن ثم القيام على تنفيذه.

وحيث ان البحث هنا يدور حول التكتلات وفشلها من ناحية تكتلية، وليس الفشل في تنفيذ فكرتها، فإن موضوع الطريقة هنا هو الكيفية التي كان على التكتل ان يسير بحسبها. أي النظر الى المرحلة المكية من حياة رسول الله ﷺ بالنسبة للتكتلات الإسلامية. وما هي الاحكام التي قام بها رسول الله ﷺ. والوعي على التفريق بين ما هو حكم وما هو وسيلة او اسلوب لتنفيذ حكم آخر.

فالجهر بالتبليغ حكم شرعي. وأن يقف الرسول ﷺ على الصفا وينادي: واصباحاه، حتى يجتمع اليه القوم، اسلوب. واستعمال صوته ﷺ في النداء وسيلة. يماثلها تبليغ حكم شرعي او إنذار بمخطط استعماري حكم شرعي، استعملت له وسيلة هي النشرة، وباسلوب النشر الواسع - كفاحي-.
فالحكم الشرعي: هو العمل المطلوب أداؤه على وجهه.
والوسيلة: هي الأداة التي تستعمل كالنشرة او الراديو او مكبرات الصوت. ويحددها العصر او الظرف.
والاسلوب: هو الكيفية التي تستعمل في ايصال تلك الوسيلة، وتحدده طبيعة العمل.

إذن فالمسألة في هذه الفقرة ليست الطريقة المقابلة للفكرة في المبدأ. بل هي الطريقة التي اتبعها رسول الله ﷺ في ايصال المبدأ للحياة. وتلخيصها هو:

- تكتل يقوم على مبدأ بفكرته وطريقته،

- وله أمير

- ويقوم هذا التكتل:

1) بايجاد اشخاص مؤمنين به، و

2) ايجاد أمة او شعب يقبل به، و

3) ايجاد قوة تمكن هذا التكتل من وضع المبدأ موضع التنفيذ في الحياة.

- ويتضمن كذلك مجموعة من الاحكام التي تتعلق بتحقيق هذه الغاية:

1) كالالتزام بالدعوة الفكرية فقط، والابتعاد عن استعمال الوسائل المادية، و

2) اطاعة وتنفيذ ما يلزمه به هذا التكتل، وما يتبناه من افكار، و

3) تنفيذ ما يتخذه من قرارات.

وبناءا على ذلك، فان تلك التكتلات، الإسلامية منها وغير الإسلامية، لم يكن لديها تصور للطريق الذي عليها ان تسلكه. فكان ما تقوم به من افعال هو ردود فعل لما يحصل في المجتمع (افعال مرتجلة دون فهم مسبق او تخطيط، بالاضافة الى تقليد ما يجري في العالم مثل الاضرابات والتظاهرات ورفع الشعارات).

واما كونها ملتوية فهي الدخول في مساومات مع الحكام والمسؤولين، او الدخول مع غيرها من التكتلات، والالتواء في عمل جبهة او منظمة او غير ذلك. اما إن كانت تلك التكتلات تتصور ان لها طريقة معينة فهي غامضة. فحين تطالب بالوحدة الإسلامية او الوحدة العربية فان طريقة تحقيق ذلك غامضة فلا يستطيعون معرفة الكيفية التي توصل لهذه الغاية، ولو انهم يحاولون تلمّسها. واما الإبهام فهو الجهالة التامة لتلك الكيفية.

3- أن القائمين على هذه التكتلات أناس دفعهم الحماس والرغبة الى التغيير، نتيجة لظروف مرت بها البلاد او ادراكاً لفساد الاوضاع، فاندفعوا بحماس الى التغيير دون ان تتمركز فيهم الارادة والوعي.

فالوعي على الفكرة والطريقة هو الجو الايماني الذي يجعل صاحبه في حماس دائم حين يربط أعماله بالقاعدة الأساسية التي ينطلق منها. وعدم الوعي يجعله عرضة للتردد او التقاعس او المساومة. أما الارادة فهي

ناشئة عن شدة الايمان بوجوب تحقيق ذلك الهدف. وتمتاز عن الرغبة بأنها رغبة مقترنة بأمر يجب تنفيذه. أما الرغبة التي لم تقترن بدافع آخر فأقصى ما تصل اليه هو الحماس. **فاذا فتر ذلك الحماس فترت الهمم وقعد عن العمل.** ولو ألقينا نظرة فاحصة على ما تركته هذه الحركات من مخلفات لا نجد فيها أثراً للوعي ومعرفة ما تريد.

اما الحركات القومية، فإنه بعد ان نجح الغرب في فصل اوروبا الشرقية - دول البلقان- عن جسم الدولة الإسلامية بالافكار القومية، غرس هذه الافكار في نفوس العرب والأتراك قاصداً تمزيق وحدة المسلمين وانشاء الدول القومية على انقاض الدولة الإسلامية. فكانت هذه الحركات تُوجَّه مباشرة من الغرب وتعقد اجتماعاتها في لندن او باريس وتدعو الى النهضة على أساس القومية متخذة من اوروبا مثلها الأعلى، وكيف ان دولها قامت على أساس قومي، وأنها نهضت على أساس قومي، وأنها تخلّت عن افكارها الدينية فنهضت. ولذلك فلا بد من اقامة الوحدة العربية لتنهض الأمة العربية على هذا الأساس. وكذلك كان الأتراك يرون ان نهضتهم يجب ان تقوم على الأساس القومي.

وجرت مناقشات حادة على صفحات الجرائد والصحف بين رجال الحركتين القومية والإسلامية حول فكرة خيالية هي: أيهما أفضل وأقرب الجامعة العربية، أم الجامعة الإسلامية؟ وكأن المشكلة هي التجزئة، مع ان التجزئة لم تكن قائمة قبل الحرب العالمية الاولى. ومع ذلك فقد كانت تلك المناقشات الحادة. إما جهالة، او لتضليل الرأي العام وصرفه عن التفكير السليم في سبل النهضة وطريقة الوصول اليها. مع ان الراجح هو التضليل. وقد وصلوا اخيراً الى ايجاد الجامعة العربية سنة 1945م. فماذا كانت النتيجة؟ وهل غيّرت من الواقع شيئاً؟ إذن فقد كان القصد هو صرف الأذهان عن التفكير الجدي بالدولة الإسلامية والأساس الذي تقوم عليه نهضة الأمم.

وقامت الى جانب الحركات القومية والحركات الإسلامية حركات وطنية في مختلف اقطار العالم الاسلامي. فكانت ردة فعل لاحتلال الكفار لبلاد المسلمين، واستيلاء الكفار على البلاد. فقامت ثورات وأعمال تطالب بالثورة والاستقلال لطرد الكافر وإبعاد قبّعة الكافر عن ارض الوطن. وتحرك الشارع في العراق والشام وفلسطين وغيرها من اجل الاستقلال، فكانت المطالبة بتثبيت عملاء الكافر في كراسي الحكم. فعيّن الملك فيصل للعراق وعبدالله للأردن، وجمهورية في سوريا. وهكذا فقد توجهت القيادات الى تثبيت الكافر عن طريق تثبيت عملائه في قيادة الناس وحكمهم وتثبيت أنظمته وقوانينه.
كما ان هؤلاء العملاء باستبدادهم وظلمهم، وفساد الانظمة التي جاءوا بها، وسوء الاوضاع الاقتصادية التي خلقوها، دفعوا الناس الى القيام بحركات او اعمال او ثورات أدت بالتالي الى تثبيت أقدام الكفار وعملائهم. كل هذا بسبب غياب الفكرة والطريقة عن أذهان القائمين على هذه الحركات.

ما نؤمن به

اننا نعتقد ان الفكرة الأساسية للنهضة إنما هي مبدأ يجمع الفكرة والطريقة معاً. وأن هذا المبدأ هو الاسلام. وحين نقول النهضة، إنما نعني بها الرقي الفكري. وللتمييز بين الافكار لا بد من تحديد صفة الفكر الراقي لمعرفته. ولذلك فاننا نقول ان الفكر الراقي هو الفكر الذي يمتاز بصفتين:

(العمق والشمول). وإلا كان فكراً منخفضاً أو منحطاً أو سطحياً. فالفكر حتى يكون راقياً لا بد أن يكون عميقاً يبحث في أصل الاشياء وتكوينها ومصدرها، وان يكون شاملاً لكل جوانب المسألة المبحوث عنها. وعلى هذا حين نقول عن الفكرة الأساسية للنهضة إنما نعني بها الفكرة الأساسية التي تكون قاعدة للرقي الفكري، أي لبحث الأمور جميعها بعمق وشمول بحيث لا نترك أمراً دون بحث. وهذا يعني أن نبحث في الانسان منذ بدايته وبصفته الإنسانية، وعيشه مع غيره من الكائنات الحية في هذا الكون الواسع. ومن البديهي في هذه الحالة ان البحث في الفرد يعني الأنانية. وان البحث في الوطن يعني إنحطاطاً من مستوى الانسانية. والبحث في القومية يعني انخفاضاً عن المستوى اللائق بالانسان كإنسان. والاكتفاء ببحث الظواهر والظواهر إنما يعني السطحية في البحث. فمثل هذا الانتقال بالأمة هو النهضة. وهذا لا يتأتى الا بمبدأ. من حيث أن المبدأ كما عرّف هو عقيدة عقلية ينبثق عنها نظام. وأنه فكرة وطريقة. باعتبار ان المبدأ هو معالجة الأمور وفهمها منذ البداية، فهو مصدر ميمي لكلمة "بدأ". والبداية التي ليس قبلها أي سؤال، وبداية ماذا؟ فقولنا عقيدة يحدد ذلك من حيث ان العقيدة هي الفكرة الكلية عن الكون والانسان والحياة. فبداية هذا الكون وهذه الحياة وهذا الانسان، وتقرير حقيقتها من حيث أنها أزلية أم مخلوقة لخالق، وبيان علاقتها بمن أوجدها، أي ما قبلها، وتحديد علاقتها بما بعدها. إن هذا الأمر يقرر حقيقة الفكر الراقي بصفتيه العمق والشمول. فالعمق يبين ارتباطها بخالقها أو أزليتها. والشمول يدل على ان البحث قد اشتمل على كل ما يمكن ان يقع عليه الحسّ. فجعل هذا الأساس فكرة أساسية وفهمه بهذا الشكل يوجِد عند الانسان طريقة معينة في التفكير، وفي نظرته للأشياء والأحداث. وبهذا يصبح مثل هذا الانسان انساناً راقياً أي ناهضاً.

هذا ما نؤمن به. والاسلام جاء بذلك، وأرادنا أن نكون بهذا المستوى من الرقيّ. والاسلام عقيدة عقلية: فالايمان بالله عقلي، والايمان بأن القرآن كلام الله عقلي، والايمان بنبوّة محمد عقلي، والايمان بما جاء به القرآن وما جاء به الرسول من عقائد غيبية او ما انبثق من الكتاب والسنّة من أحكام ونظم ثبت أصلها بالعقل. وقد انبثق من الكتاب والسنّة نظم وقوانين شملت كافة نواحي الحياة، وعالجت مشاكل الانسان جميعها، وبينت كيفية تطبيق وتنفيذ هذه المعالجات. كما بينت الطريق لحمل هذا المبدأ وإسعاد البشرية على أساسه. أي عالجت مشكلة الفرد كفرد، وعالجت المجتمع كمجتمع وكدولة ترعى شؤون الناس، ونظرت لإنقاذ البشرية كلها.

ومع كون الاسلام نظاماً عالمياً، بعقيدته ونظمه ونظرته للانسان، الا انه ليس

من طريقته أن يعمل له بشكل عالمي. فمن حيث الدعوة له، فهي دعوة عالمية ولا شك. الا ان العمل لا بدّ أن يتركز في قطر من الاقطار، ويكون هذا القطر هو مجال العمل، وفيه يجري السير بطريقة الاسلام في العمل. أي ايجاد كتلة واعية، تأخذ على عاتقها مسؤولية القيام بأعباء الدعوة، حتى تصل الى غايتها. ثم ايجاد شعب او أمة تقبل بهذه النظم والأحكام، لتنفذ عليها. ثم الوصول الى قوة تستطيع ان تضع هذه النظم والأحكام موضع التنفيذ. فتقوم الدولة الإسلامية، طبيعياً، في ذلك القطر. فتنفذ فيه أحكام الاسلام، وتبدأ بضمّ أقطار العالم الاسلامي، وحمل الدعوة الى العالم. هذه هي طريقة الاسلام في الوجود والانتشار، باعتباره رسالة انسانية عالمية خالدة.

نعم، ان العالم كله مكان صالح للدعوة الإسلامية. غير انه لما كانت البلاد الإسلامية ما زال أهلها مسلمون ويعتقدون العقيدة الإسلامية، فالدعوة فيهم لها سببان:

1) السبب الاول: تذكير هؤلاء المسلمين بان ايجاد الاسلام في واقع الحياة، وتنفيذ أحكامه، وحمله للعالم فرض عليهم. وقد تعطل هذا الفرض بسبب غياب الخلافة. فإعادتها فرض. وما زال في الأمة الكثير من التقاة الذين يخشون الله.
2) والسبب الثاني: أن هؤلاء المسلمين ما زالت العقيدة الإسلامية حية في نفوسهم، ولو أنها اقتصرت على العقيدة الروحية. لهذا كان الواجب ان يُبدأ بهم لتذكيرهم بتقوى الله ووجوب العمل لعودة الاسلام الى واقع الحياة، وتوضيح العقيدة السياسية في الاسلام، ومزجها بالعقيدة الروحية، بشكل لا ينفصل أبداً.

ولما كانت البلاد العربية جزءا من البلاد الإسلامية وتتكلم اللغة العربية، واللغة العربية جزء جوهري في الاسلام باعتبارها لغة القرآن فهي جزء منه. وهي عنصر أساسي من عناصر الثقافة الإسلامية. باعتبار ان الثقافة الإسلامية هي ما جاءت به العقيدة – أي النصوص الشرعية: آيات وأحاديث –، وما كانت العقيدة الإسلامية سبباً في بحثه: مثل علوم اللغة العربية. وبهذا اعتبرت اللغة العربية عنصرا أساسيا من عناصر الثقافة الإسلامية. إذ أنه لا يمكن فهم ما جاءت به العقيدة من آيات وأحاديث الا باللغة العربية. فلهذا كان الأولى ان يُبدأ بالبلاد العربية. هذه واحدة.

وأما الأخرى فان البدء يكون حيث كان الشخص الذي لمعت في ذهنه هذه الفكرة، ما دام ان الاسلام لم يحدد نقطة الإبتداء. فلو لمعت هذه الفكرة في ذهن أحد من أبناء الهند او فارس لكان عليه ان يبدأ حيث هو، وهو ليس ملزماً بأن ينتقل بدعوته الى البلاد العربية. شريطة ان تكون اللغة العربية هي الوسيلة الوحيدة لفهم هذا الدين وهذه الدعوة. وكان لا بد من مزج الطاقة العربية بالطاقة الإسلامية لتتّحِد اللغة العربية بالاسلام كما أرادها الله. ولما فيهما من القدرة على التأثير والتوسع والانتشار.
أما قدرة اللغة العربية على التأثير فذلك لسعة ما فيها من المفردات التي تمكن من تصوير الواقع تصويراً دقيقاً يؤثر في المقابل بحيث يجسّد الحادث او الواقع له كأنه يراه على حقيقته. فحين وضع في اللغة – على سبيل المثال – سبعين اسماً للأسد، فقد كانت هذه الاسماء تصور الأسد في كل حالة هو فيها، وليست ألفاظاً مترادفة. ان هذه القدرة على تصوير الوقائع والأحداث لها أبلغ الأثر في المقابل. حيث ان إحساس الانسان إنما يتأتى من إحساسه بأحد حواسه الخمس لشيء ما. فلا نستطيع ان ندرك حرارة النار الا بعد مسّها، أي الاحساس بها بحاسة اللمس. فامكانية تجسيد الواقع بالألفاظ بحيث يصبح واقعاً مجسّداً أمامه يحسّه ويلمسه

ويسمع به ويشمّه، يجعله يتصوره واقعاً مجسداً أمامه. فان هذا التجسيد يلهب المشاعر ويذكي الأحاسيس فيحدث التأثير. هذا من حيث التأثير.

وأما التوسع فان ما احتوته اللغة العربية من قواعد في النحت والاشتقاق والتعريب والتشبيه، يجعلها تتسع لما يستجدّ من أشياء ووقائع وأحداث. فعملية التعريب وهي أخذ الاشياء المستجدة باسمائها التي سميت بها، وإخضاعها فقط للميزان الصرفي لتصبح الكلمة عربية الوزن، أكثر من كافية. ولا ضرورة فيها للتعريب بالمعنى كما يظن بعض الناس وكما تقوم به مجامع اللغة العربية من جهود ضائعة. فكلمة تلفون تبقى تلفون لأنها بوزن عربي، ولا يصحّ ان تُعرَّب بالمعنى كأن يقال "هاتف". وبهذا تبقى اللغة العربية فيها قابلية الاتساع لتشمل كل ما يمكن ان يستجدّ من أسماء وألفاظ ومعاني. وقد استعمل القرآن الكريم هذا الاسلوب. وأظن ان اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي تحتفظ بأصالتها في هذا الميزان الصرفي الذي يميزها عن غيرها من اللغات. وبعد خضوع هذه الكلمة او تلك للميزان الصرفي، يصار الى اشتقاق أفعال من هذه الأسماء، بنفس قواعد الاشتقاق العربية. فيقال: تلفن يتلفن تلفنة، وهكذا.

واما الانتشار فانها لاقترانها بالاسلام وكونها لغة القرآن ولا يقرأ الا بها، من البديهي ان تنتشر في كل قطر يصل اليه الاسلام. هذا من حيث اللغة العربية. أي من حيث الطاقة العربية. فلا يظنّن ظانٌ أن عبارة الطاقة العربية يعني العرب والعروبة. بل المقصود بالطاقة العربية هو اللغة العربية ليس غير. ومزجها بالطاقة الإسلامية يعني جعلها اللغة الرسمية للأمة الإسلامية والدولة. فلا يؤذَن باجراء اية معاملة الا باللغة العربية.

وأما الطاقة الإسلامية وما فيها من التأثير والتوسع والانتشار.

فمن حيث التأثير، سبق وبيّنّا أن التأثير إنما يحصل من تجسيد الوقائع والأحداث والأشياء بشكل يثير مشاعر السامع، ويشدّ انتباهه، فيتأثر بما يسمع. وبتعبير آخر أن تخاطب العواطف والمشاعر أولاً، ثم تنـزل الحكم على الواقعة التي خاطبت العواطف والمشاعر فيها. فحين يصف نعيم الجنة وما فيها من خيرات، فكأنما ينقل السامع الى تلك الجنة فيعيش في ظلالها. وحين يصف عذاب جهنم، تقشعرّ جلود السامعين وكأنهم يحسون لهيبها. ونلاحظ ذلك في كثرة الافعال لتقريب الفهم وتجسيد الأمر. من مثل قوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث﴾. او قوله: ﴿ مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذّبوا بآياتنا ﴾، فكيف بمن حُمّل القرآن ثم لم يحملْه؟ او قوله تعالى ﴿يا أيها الناس ضُرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾. وهكذا فمن الملاحظ ان هذه الامثلة انما يراد منها تقريب المفاهيم للذهن، بالتشبيه، لتجسيد الواقع في ذهن السامع ليثير فيه من الأحاسيس ما يدفعه للتفكير.

وأما التوسع، فمن المعروف ان النصوص إنما جاءت بخطوط عريضة فيها عالجت الأسس في حياة الانسان من حيث هو انسان. ويُستنبَط من هذه الخطوط العريضة معالجات لما يستجدّ من وقائع وأحداث. وبما أن الوقائع والأحداث دائمة التجدد، فكذلك الأحكام المستنبَطة تواكب هذه الوقائع والأحداث. وهذا يعني التوسع في الأحكام ومواكبة كل ما يستجدّ من أحداث. وبما أن النصوص التي تضمنت هذه المعالجات والأفكار الأساسية إنما هي نصوص عربية وبأساليب عربية، وفهمها وإمكانية الاستنباط منها لا بد له من فهم اللغة العربية فهماً يمكنه من إدراك مفهومها ومنطوقها ومعقولها، لهذا كان التلازم مع إمكانية التوسع أمراً حتمياً.

واما الانتشار، فمن البديهي ان الاسلام جاء يخاطب عقل الانسان من حيث هو انسان، بغض النظر عن لونه او جنسه او موطنه. فإمكانية الاعتقاد به حتمية من قبل أي انسان لأنه يخاطب قواه العاقلة. ولذلك فان الاسلام ينتقل من قطر لآخر ومن انسان لآخر انتقالاً طبيعياً، لأن الانسان هو الانسان حيثما حلّ او ارتحل. وقد لاحظنا كيف ان الاسلام قد انتشر في أقل من نصف قرن ليشمل معظم أجزاء المعمورة المعروفة في ذلك العصر. ويستمر انتشاره مع انتقال أبنائه سواءا بالجهاد او التجارة او الانتقال الطبيعي. وقد نلاحظ كيف انتصر الاسلام حين هُزم أهله. انتصر على المغول حين هُزم المسلمون أمام المغول. فلم تمض سوى فترة قصيرة حتى اعتنق المغول الاسلام وقاموا بنشره في الشرق الأقصى.

ونلاحظ او مما يجب أن نلاحظ أنه حين حمل الاسلام ممتزجاً بالطاقة العربية جعل البلاد التي اعتنقته ممتزجاً

تصبح وكأنها بلاداً عربية مثل بلاد الشام والعراق وشمال افريقيا. وأما البلاد التي حمل الاسلام اليها منفصلاً عن الطاقة العربية فانه لم يُحدث فيها الأثر ذاته. وكان هذا تقصيراً من العباسيين فما بعدهم كالعثمانيين.

ولهذا نقول أنه لا بد من مزج الطاقة العربية بالطاقة الإسلامية، لما في امتزاجهما من قوة التأثير والتوسع والانتشار. ولهذا كذلك فان من الطبيعي أن يبدأ العمل في البلاد العربية وأن تقام نواة الدولة الإسلامية في البلاد العربية. ومن ثم تقوم بضمّ بقية الأجزاء اليها من البلاد العربية او غيرها، حتى يتم توحيد العالم الاسلامي في دولة واحدة تقوم بحمل الاسلام للعالم. الا انه وإن كان من المحتَّم بدء العمل في البلاد العربية، الا انه من المحتَّم ايضاً ان تُرسَل الدعوة الى سائر البلاد الإسلامية، وأن يُعمَل فيها ليوجَد فيها الوعي على وجوب استئناف الحياة الإسلامية، والاستعداد للإنضمام الى جسم الدولة الناشئة، وما يمكن ان يوضَع لذلك من اساليب.

هذا ما نعتقده من وجوب ايجاد نهضة حقيقية تقوم على أساس المبدأ الاسلامي، ويصار في ذلك بالفكرة التي بيّنا.
أعني: تكتلاً يضع مبدأ الاسلام فكرة أساسية ينطلق بها في سبيل ايجاد النهضة. هذا المبدأ بفكرته وطريقته يقوم التكتل بحمله والدعوة له عالمياً. ولكنه يعمل له في البلاد العربية ممتزجاً بالطاقة العربية، حتى يتم تحقيق اقامة دولة إسلامية، تقوم بجمع بقية البلاد الإسلامية في دولة واحدة، تحمل الاسلام للعالم.

الفلسفة الحقيقية للنهضة

ان الفلسفة الحقيقية للنهضة – نعني بالفلسفة هنا الفكرة الأساسية – هي مبدأ يجمع الفكرة والطريقة معاً.

وهما لا بد من تفهّمهما لكل تكتل يهدف الى القيام بعمل جدّي يؤدي الى النهضة.

وحين نقول المبدأ الذي يجمع الفكرة والطريقة معاً (وقد سبق أن عرّفنا المبدأ بأنه عقيدة عقلية ينبثق عنها نظام) فان الفكرة فيه هي:

I- عقيدة المبدأ: أي الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

II- المعالجات: وهي الأحكام الشرعية التي نظمت حياة الانسان، بما في ذلك مشاكله (مثل: أحكام العبادات وأحكام البيع وأحكام الزواج وغيرها).

III- حمل الدعوة: وهي تبليغ الناس ودعوتهم لاعتناق عقيدة المبدأ.

وأما الطريقة فيه فهي: فهي الأحكام التي بيّنت كيفية المحافظة على العقيدة، وكيفية تنفيذ المعالجات، وكيفية حمل الدعوة.

ففي المحافظة على العقيدة: أحكام شرعية تحافظ على العقيدة، أبرزها قتل المرتدّ، وتعزير من تبدو منه أية

اعمال فيها إساءة للعقيدة، مثل أخذ العقيدة بالظن.

وفي تنفيذ المعالجات فيها ما يلي:

- معالجة الحفاظ على النفس: كيفية المحافظة على النفس بقتل القاتل او الدية، وفيما دون النفس الأرش والقصاص.

- معالجة المحافظة على عقل الانسان: كيفية المحافظة على ذلك جلد السكران، وتعزير صانع الخمرة وحاملها وبائعها.

- معالجة المحافظة على نوع الانسان: كيفية المحافظة على ذلك جلد الزاني أو رجمه وما دون ذلك.

- معالجة المحافظة على النوع الانساني: كيفية المحافظة على ذلك فرض الديّة على الجبّ أو الخصي أو التعقيم.

- معالجة المحافظة على كرامة الانسان: كيفية المحافظة على ذلك فرض جلد القاذف، فما دون.

- معالجة المحافظة على مال الانسان: كيفية المحافظة على ذلك فرض قطع يد السارق، فما دون.

- معالجة المحافظة على الأمن: كيفية المحافظة على ذلك فرض قتل او صلب او نفي من الارض لمن يعيثون في الارض الفساد.

- ايجاد الاسلام في واقع الحياة: مبايعة خليفة، ينوب عن الأمة في التنفيذ.

أما كيفية حمل الدعوة: فقد بيّن الشارع فيها أحكاماً كثيرة جداً، على رأسها الجهاد وتنظيم السياسة الخارجية للأمة الإسلامية.

وحين نقول لا بد من تفهّمهما لكل تكتل، إنما نعني أن أي جماعة تستهدف ايجاد النهضة الحقيقية فمن أوجب ما يجب عليها أن تفعله هو أن تفهم المبدأ بفكرته وطريقته. فلا تأخذ الفكرة دون طريقتها، وإلا كانت فلسفة خيالية. ولا تأخذ الفكرة منفصلة عن طريقتها، بل لا بد من الربط بين الفكرة والطريقة. فاذا عُلم أن طريقة تنفيذ الأحكام جملة وتفصيلا هي الدولة الإسلامية، وأن أحكام الطريقة بشكل عام إنما يقوم على تنفيذها الدولة، بل ويحرُم على الفرد مباشرة تنفيذ غالبية هذه الأحكام، إذن فالتفهّم يجب أن يشمل الدولة الإسلامية: ما هي، وما هي أحكامها، وصلاحياتها، وكل ما يحيط بها باعتبارها طريقة تنفيذ المبدأ. ولا يكفي فهم الفكرة فقط. بل لا بد من فهم الفكرة فهماً واضحاً وفهم الطريقة كذلك. ولا بد من فهم الأحكام الموصلة لاقامة الدولة باعتبارها أحكاماً اشتملت عليها الطريقة، وهي جزء منها. أي معرفة الطريقة الموصلة لايجاد الدولة التي هي طريقة تنفيذ الأحكام.

وباختصار أقول: ان هذا التفهّم لا بد وأن يشمل ما يلي:

1) فهم الأحكام التي تعالج مشاكل الأفراد وعلاقاتهم مع بعضهم.

2) فهم الأحكام التي تعالج علاقات المسلمين بغيرهم.

3) فهم الأحكام التي تقام بها الدولة أو توصل لإقامتها.

4) فهم أحكام الدولة ووضع المخطط الهندسي لها، أي وضع مشروع دستور لها.

5) فهم علاقة هذه الدولة بغيرها من الدول.

6) فهم الأساس الذي أقيمت الدولة من أجله، وهو تطبيق الاسلام في الداخل، وحمله الى العالم.

7) فهم أنه لو عُمل على نشر الاسلام وتقيّد به أبناؤه بشكل عام دون أن تكون لهم دولة، فسيبقى 5/4 الاسلام معطّلا. ومن ذلك: أ) إقامة الحدود.

ب) حماية الثغور.

ت) رعاية الشؤون.

ث) حمل الدعوة للعالم بالجهاد

هذا ما نقصده من قولنا بضرورة تفهّم المبدأ مسبقاً لأي تكتل يريد النهوض بالأمة. أي هذا ما نقصده بوضوح الفكرة والطريقة. حيث أننا قلنا أن من اسباب الفشل الرئيسية من ناحية تكتلية عدم وضوح الفكرة، وعدم وضوح الطريقة. فقد حدّدنا في الفكرة ما نريد ونفينا عنها الميوعة والتأرجح وأبعدنا عنها كل فكر خارج عنها من حيث تقيّدنا بما انبثق عن العقيدة من أحكام، وجعلناها واضحة بيّنة للعيان من حيث ربط كل حكم بالدليل الذي استنبط منه.

بعد هذا البيان الشافي للمبدأ وجعله متيسراً لكل مخلص يريد السير في طريق النهضة، فإن أي تكتل يقوم على مثل هذا الوضوح وهذا الفهم لا بد وأن يكون تكتلاً مؤثراً. وذلك بقدرته على إنزال افكاره على الواقع الحالي مبيّناً للأمة قُرب ذلك أو بُعده عن عقيدتها. ويستطيع أن يحرك جذوة الايمان فيها.

كما لا بد أن يكون إنشائياً أي يتابع ما يحصل في الأمة من أحداث ووقائع، مستنبطاً لكل حادث حكماً جديداً يعالج هذا الواقع. ويرتقي بالأمة من إدراكها لواقعها الحالي، الى الواقع الذي يريد ان ينقلها اليه. يرتقي بالأمة من تفكيرها السطحي، الى التفكير العميق الذي لا يقف عند مظاهر الاشياء. بل يبحث في الأحداث، واسبابها، ومسبباتها، وكيفية معالجتها، محاولاً ان يوجد في الأمة طريقة معينة في التفكير.

فاذا ما سار التكتل على هذا النحو، فانه يصبح جديراً بأن يحتضنه المجتمع وهو يرى أنه القائم على مصالحه، الواعي على ما يُحاك ضده من مؤامرات، وأن يتكفله ويقوم بحمايته اذا اقتضى الأمر. ذلك لأنه تكتل واعي على ما يقول. فحين يطرح فكرته إنما يطرحها بوضوح كامل قارناً كل حكم فيها بالدليل الذي استنبط منه، بل وبكيفية الاستدلال، طالباً من الناس أن يسألوا دائماً عن الدليل، سواء بالافكار او بالاحكام او بالآراء. فالانقياد الأعمى لا يريده هذا التكتل، ولا يسعى اليه. بل يريد قيادة واعية، وانقياداً عن وعي وبصيرة. كذلك حين يتحدث عن الطريقة يبدو مبصراً للطريقة، سواء كما جاءت في الكتاب والسنّة، او بما فهم من سيرة

. ويبدو من هذا الوضوح في الرؤية، والفهم للفكرة، أن قضية هذا التكتل ﷺالمصطفى مفهومة عنده، وجعلها قضيته المصيرية. قضية هذا التكتل النهوض بالأمة، وهذا لا يتأتى الا باستئناف الحياة الإسلامية، وهذا لا يمكن الا بإقامة دولة إسلامية.

هذا من حيث الأساس الأول في التكتل وسلوكه طريق النهضة، أي من حيث الفكرة والطريقة. أما من حيث الأشخاص القائمين على هذا التكتل ووعيهم وإخلاصهم وطريقة ربطهم، فلا تقل أهمية عن وضوح الفكرة ووضوح الطريقة. ولذلك لا بد من استعراض الحركات السابقة من هذا المنطلق.

ونتيجة لهذا الاستعراض وجدنا ان الحركات التي ظهرت خلال القرن الماضي كانت طريقة تكتلها فاسدة. فهي لم تقم على أساس حزبي متفهم لفكرته وطريقته. إنما قامت على أساس جمعي، أو حزبي إسماً. والسبب في ذلك يظهر من استعراض واقع المجتمع في حينه، وتصوّر الناس له وفكرتهم عنه. ونستطيع ان نقسم ذلك الى مرحلتين:
مرحلة ما قبل سقوط الدولة العثمانية،
ومرحلة ما بعدها.

أما مرحلة ما قبل سقوط الدولة فقد كان المسلمون في ذلك الوقت يشعرون بأن لهم دولة إسلامية، على ما فيها من ضعف وهزال، وعلى اختلاف تصورها وفهم حقيقتها، بعد أن بدأت تتسرب الافكار القومية الى نفوس الناس. ولذلك فقد كانت الدولة هي موضع البحث ومركز التنبُّه والتفكير. ولذلك فقد كان تفكير المسلمين منصبّاً على محاولة اصلاح تلك الدولة، كلٌ بحسب تصوّره. فقد كان العرب يرون ان هذه الدولة قد هضمت حقوقهم، وظلمتهم، وأساءت معاملتهم. خصوصاً وأنهم مؤمنون بأنها دولة إسلامية، وهم مسلمون، والاسلام لا يفرق بين عربي وعجمي. الا ان وجود الفكر القومي وتسرّبه للنفوس، جعل النظرة للدولة لا من زاوية أنها أساءت التطبيق للاسلام، بل من زاوية معاملتها لهم باعتبارهم عرباً. خصوصاً بعد وجود أحزاب قومية مثل حزب الاتحاد والترقي الذي أراد بسياسته وتوجيه الغرب أن يشعر العرب جميعاً بهذا الشعور، خصوصاً وقد تبنّى سياسة التتريك، او ما قيل من دعايات حول ذلك. وقد ساعد على انتشار مثل هذه الفكرة فصل الطاقة العربية عن الطاقة الإسلامية، أي عدم جعل اللغة العربية لغة الدولة الرسمية. ولهذا كان نشاط السياسيين والمفكرين من المسلمين من أبناء الأمة – العرب خاصة – يتجه الى المطالبة بالاصلاحات، او العدالة في المعاملة، والمساواة. وقد انتشرت مثل هذه الفكرة في نفوس الناس انتشار النار في الهشيم "حرّيت عدالت مساوات"، وهي تخفي وراءها الكثير. وهذا ما يدل على جهالة القائمين على ذلك بالنهضة وكيفية الوصول اليها.

وهذا ما كان عليه غالبية المسلمين. الا انه في هذا العصر بالذات، بل منذ فشل الغزو الصليبي، بات الغرب يفكر في اساليب اخرى لمحاربة المسلمين، بل لمحاربة الاسلام. فلجأ الى الغزو الثقافي، خصوصاً وأن الدولة العثمانية كان همّها القوة العسكرية، ولم تتنبّه لأثر الناحية الفكرية في حياة الناس والمجتمع، إما جهالة وإما لانشغالها طيلة القرن السابق بحرب مستمرة مع العالم بكامله في حينه. الا ان ذلك لا يغير من الواقع شيئاً، والنتيجة واحدة في الحالتين. فقد بات العالم الاسلامي يتردى في أودية الانحطاط، حتى وصل الى ما وصل

اليه من جهالة. ومثل هذا الواقع سهّل عملية الغزو الثقافي المغلّفة بالمساعدات الطبية تارة، وتارة بالارساليات التبشيرية، وأخرى بالمساعدات الثقافية كإدخال آلات الطباعة وغير ذلك، حاملة معها سموم الدعوة القومية، والدعوة الى الاستقلال، والانفصال وغير ذلك. هذا في الداخل.
وأما في الخارج، فقد فتحت اوروبا ابواب جامعاتها لأبناء المسلمين بحجة العلم. والحقيقة أنها كانت عملية غسل أدمغة، وتحميلهم فكر الغرب وثقافته. حتى تهيّأ لهم مجموعات من الشباب الذين أجمعوا على هدف مشترك. وهو الاستقلال والانفصال. واستطاعت فرنسا وبريطانيا ان تقيم من هؤلاء تكتلات اجتمعت على هذا الهدف، وبدأت تعقد اجتماعاتها في لندن وباريس وترعاها بريطانيا وفرنسا رعاية كاملة. ونشأ في البلاد العربية تكتلات متعددة كلها تطالب بهدف واحد هو الاستقلال عن الدولة العثمانية. حتى أوجدوا على هذا الهدف رأياً عاماً ساعدهم على تحقيق ذلك الهدف. بل أدى في الحقيقة الى وجود الثورة العربية. وكانت نتيجته هدم الخلافة وتمكين الكفار من بسط نفوذهم على بلاد المسلمين.

ولهذا نقول أن هذا النفر استطاع بمساعدة الغرب ان يوجِد فكرة معينة وهي الاستقلال، وأن يبني عليها ثقافة معينة هي ثقافة الغرب، ويوحِد هدف الجميع على اقامة دولة عربية، وازالة الهيمنة والظلم والاستبداد الذي كان يعاني منه الشعب العربي حسب رأيهم. فكانت على هذا الأساس تكتلات حزبية اسماً، وأعني أنها أوجدت العناصر الأساسية للتكتل، ولكنها أسس غامضة او شبه غامضة، لكنها كانت كافية لأن توحّد بين عقولهم ومشاعرهم. ثقافة أجنبية، وحقد على الدولة العثمانية بسبب الظلم، وافكار قومية او مشاعر وطنية توحّدت على هدف واحد جمع بين هؤلاء الناس. لهذا كانت تكتلات حزبية اسماً.

ولما تحقق للغرب هدفه من وجود هذه التكتلات والاحزاب، أنهاها باقتسامها للغنائم وتوزيع المناصب والكراسي، ونصب رجالاتها حكاماً للأمة يروّضون الأمة ويصوغونها حسب المخطط الذي رسمه لهم.
وانتهت تلك المرحلة من حياة الأمة بهذه النتيجة المؤلمة التي ما زلنا نعاني منها.
أما المرحلة الثانية، وهي مرحلة ما بعد الحرب العالمية الاولى وهدم الخلافة، فقد إتّسمت بطابع آخر مختلف تماماً عن المرحلة الاولى. فوجدت تكتلات وأحزاب تختلف تماماً عما كانت عليه سابقاتها من حيث الافكار والاهداف، ولكنها لا تختلف عنها من الناحية التكتلية. فقد بقيت على نفس النهج، فلم تراعي أي أساس من الأسس التي أشرنا اليها سابقاً. أي بقيت على دعواتها العامة والتخبط في طريقتها، وقيام أناس بحمل تبعتها ليسوا بمستوى المسؤولية، وكانت المصالح الآنية الأنانية هي التي تجمعهم. فبقي المرض هو المرض في المرحلتين. هذا بالاضافة الى أن هذه المرحلة اتّسمت بهيمنة الكافر وسيطرته المباشرة على الدولة وعلى الأمة. وأخذ يطبق نظامه إما مباشرة وإما بواسطة رجالاته الذين نصّبهم حكاماً على الأمة. وحاول بناء المجتمع والأمة على الأسس التي يراها هو جاعلاً عقيدته وثقافته ووجهة نظره في الحياة هي الأساس الذي يجب أن يُبنى المجتمع عليه، بشكل خبيث صريح حيناً وخفيّ أحياناً، مستعملاً المال والعملاء للوصول الى غايته.

ولإدراك الكافر لأثر الثقافة على سلوك الانسان وأفكاره فقد ركّز جلّ اهتمامه على هذا الجانب، بحيث انه لم يترك مجالاً من مجالات الثقافة او العلم الا كانت وجهة نظره عن الحياة هي الأساس في ذلك. ومن المعروف ان الثقافة هي مجموعة المعارف التي يحصل عليها الانسان بالتلقين و الإخبار ثم الملاحظة والاستنباط.
وبناءا على تلك الثقافة تتكون عند الانسان عقلية تفهم الأمور والأحداث بشكل معين – أي بالكيفية التي لديه عنها مقاييس وقواعد يقيس الأمور بحسبها. فاذا كانت هذه القواعد والمقاييس هي نفس القواعد والمقاييس التي لقنها لمثقفينا، فلا بد من انشاء جيل يفكر حسب ما يريد هذا الكافر المتسلط. وبذلك يكون قد بنى المجتمع على الكيفية التي يريد. من حيث ان انتاج هذا التفكير سيكوّن المفاهيم التي تسيّر سلوك الناس وتصرفاتهم في الحياة.

ومن أجل تحقيق هذه الغاية، جعل القواعد والمقاييس والأسس (أي فلسفته ووجهة نظره) هي التي يُرجع اليها في عملية التفكير. وهي تتلخص بالقول: فصل المادة عن الروح وفصل الدين عن الدولة. وهذا يعني جعل الناس والمثقفين بشكل خاص يعتقدون عقيدته بأسلوب خبيث، لم يدعهم يدركون أن هذه العقيدة عقيدة كفر، معززاً ذلك بقوله: الدين لله والوطن للجميع، وأن الدين هو العلاقة بين الفرد وخالقه. أما تنظيم العلاقات بين الناس وتنظيم حياة المجتمع، فهذه أمور يقوم بها المفكرون من الناس. فالرسول يقول: انتم أعلم بأمور دنياكم. وهذه أمور دنيا وليست أمور دين.

هذا هو الأساس الذي جعله أساساً لمناهج التعليم. فمناهج التعليم يجب ان تُستنبط من هذه القاعدة أو أن تُبنى على هذا الأساس. بالاضافة الى جعل شخصيته هي الأساس الذي تُنتزع منه ثقافتنا. وهذا يعني أن ننظر الى الوقائع والأحداث كما ينظر اليها هو: كيف يعالج الأمور وكيف يتعامل مع الأحداث، وكيف كانت مواقفه في المسألة الفلانية او تلك. فالحرية مثلاً هي حجر الزاوية في تصرفات الفرد فلا يجوز ان يُمنع أحد من أي تصرف. فحرية الكلمة والمعتقد والحريات الشخصية أمور مقدسة عنده فلا بد أن نقدّسها. أنظروا كيف ساد العالم بهذه المبادئ والأسس. فلا بد ان تتضمن الكتب الثقافية مئات الأمثلة عن مثل هذه الحوادث وكيف عالجها. كما يجب ان تتضمن كتب التاريخ والجغرافيا تاريخه هو، ولا بد ان تكون دراسة تاريخه وبداية النهضة عنده والأسس التي قامت عليها حضارته – ابتداءا من القرن الثالث الميلادي – ووضع البراءة العظمى (او ما يسمى الماغناكارتا) أي الوثيقة التي قيّدت صلاحيات الملك - لا بد ان توضع هذه في صلب الأمور التاريخية التي تبين مدى فعالية الأمة والشعب حين يقرر شيئاً. تماماً كما جعلوا الثورة الفرنسية مناراً يهدي السالكين، ومن أقوال ابراهام لنكولن منهاج حياة للأمم. ناهيك عن وضع لغته لغة رسمية في الدولة، ولغة تتقاسم مع اللغة العربية حصص الدروس. وجعل أي وظيفة موقوفة على مدى معرفة طالب الوظيفة للغة اجنبية. حتى باتت معرفة لغة اجنبية بالاضافة الى انها وسيلة للوظيفة والعيش عنواناً على الحضارة والتقدم. حتى أصبح العامّيّ يحاول ان يحفظ بعض كلمات اجنبية فكأنه يريد ان يتبرّك بها. ذلك ليقال عنه انه

مثقف، وميزانه في الثقافة بمقدار ما يحفظ من هذه الكلمات حتى لو كان عالماً فقيهاً خطيباً في المسجد الجامع فلا يغنيه ذلك عن معرفته بشيء من اللغة الاجنبية. وأما عن جغرافية بلاده فمن البديهي ان تنال الحظ الوافر من المعرفة وأن يُخصص لها كتب معينة تبين تلك البلاد وما فيها من خيرات وما تمتاز به من صفات، وما خصّها الله به من مناخ كان له الأثر الأكبر على نفسيات أهلها، حتى قالوا أن طبيعة البلاد الباردة تجعل أهله أذكياء سريعي الحركة دائمي العمل، أما أهل البلاد الحارة فانهم يمتازون بالخمول والكسل والنفسيات المريضة. وأخذنا نردد دائماً تلك المقولة، وكأنها حقيقة قد جاء بها القرآن الكريم. وأصبحنا نعرف ما تحويه بلاده من خيرات ونعم أكثر مما نعرف عن بلادنا وبيئتنا، بل اكثر مما يعرف هو عن بلاده. مما جعل البعض يظن ان الله قد حباهم هذه النعم وفضّلهم على الناس بالفطرة. هذا بعض ما حرص الكافر على ان نحشو به عقولنا. فإن أردنا المزيد، فلا بد من دراسة الفلسفة اليونانية والفقه الروماني والفرنسي، ولا بد من معرفة اولئك الأعلام الكبار في مجال الفلسفة ابتداءاً من سقراط وانتهاءاً بديكارت، وكذا في الأدب والشعر والموسيقى وغير ذلك.

وبالاضافة الى محاولته الخبيثة المتعمدة باعطاء صورة مشرقة عن شخصيته، فقد إدّعى أنه إنما حارب الدولة العثمانية لأنها دولة ظالمة مستبدة تهيمن على غيرها من الشعوب وتمتص دماءها. وما جاء هو الا لتخليص العالم من هذه الشرور، فهو نصير الشعوب المستضعفة، ومعين الأمم الفقيرة، ومعلّم الناس ومثقفهم. وأنه ما جاء الينا الا لرفع الظلم والجور عنا أولاً، ثم لتعليمنا كيف نستطيع أن نحكم أنفسنا، ويرشدنا الى ما فيه خيرنا. ثم يقيم معنا علاقات المحبة والاحترام المتبادل ثم يعود من حيث أتى. فلا مطمع له فينا، بل انه ينفق الاموال ويبذل الجهود ويأتي بالعلماء والخبراء لكي ينهض بنا. ولذلك فقد سارع ببناء المدارس والمعاهد والمستشفيات في كل مدينة وفي كل قرية وفي كل حي. مما جعل عامة الناس، بل الرأي العام بكامله، ينظر اليه نظرة إكبار وإجلال، وجعله القدوة الصالحة التي يجب على الناس إتّباعها. خصوصاً وأن ذلك قد حصل في وقت كان فيه المجتمع في نهاية انحداره. وفي وقت كان الجهل فيه قد أطبق على البلاد، بالاضافة الى فساد الوضع الاقتصادي وذلك لأسباب متعددة منها انشغال الدولة بحروب دائمة، ومنها فساد الادارة، وسوء تطبيق النظام، والضرائب التعسفية الناشئة عن فساد النظام، والبطالة المستشرية. زد على ذلك الاسباب الخارجة عن الارادة مثل الجدب والمحل المتواصل لسنوات مما أوجد مجاعة في كثير من البلدان. ولما جاء الكافر الى البلاد مدركاً ما يعانيه الناس، حاول تخفيف هذه الأزمات بأعمال ظاهرها الخير وباطنها قبول الناس له والمفاضلة بينه وبين سابقه. ومن الأمثلة على هذه الاعمال الخبيثة تقديم المكافآت لمن يحسن القيام بعمل ما. فهذا المزارع أجاد في محصوله فقدم له مكافأة، وذلك أقام دعائم الارض حتى لا تجرف تربتها فقدّم له مكافأة. وعاقب هذا الذي أساء الأدب مع حماره فحمَّله فوق طاقته، كما أوقع الغرامة على ذلك الفلاح الذي لم يعالج جمله الجريح، وغير ذلك من الاعمال الملفتة للنظر، والمحدثة في الأمة أكبر الأثر. وبهذا استطاع ان يخفي وجهه الحقيقي ليبدو لنا في صورة المنقذ، يتواجد الخير حيث تواجَد.

إن مسألة مناهج التعليم وبرامجه ما زالت سُبّة في جبين القائمين عليها الى الآن. وما زال وجه الاستعمار مختفياً وراءها، أو بارزاً في كثير من الأحيان. الا ان الكافر وقد تحكم في هذه المناهج حتى لا تفلت جزئية من جزئياتها، لا بد أن يطّلع على كل صغيرة وكبيرة فيها، وذلك بسبب ما للثقافة من أثر في حياة الناس. فإن فشل في ايجاد أجيال تحمل عقيدته، وتؤمن بما يؤمن به، فلا أقل من أن يوجِد أجيالاً جاهلة، مشتتة الذهن، ليس لها قاعدة فكرية ولا طريقة في التفكير. وبالتالي ستبقى هذه الأجيال تربة صالحة لزرع ثقافته، وتوجيهها بالوجهة التي يريدها، حتى لو أرادت الإفلات من قبضته بعد إدراكها غايته، فهو الذي يرسم لها طريق النضال لتقع مرة اخرى في قبضته، ولكن بشكل آخر وهكذا.

بعض نتائج زرع ثقافة الكافر في بلاد المسلمين

فكانت نتيجة ما حدث، أي نتيجة زرع ثقافة الكافر في بلاد المسلمين، ما يلي:

الرأي العام والمثقفون:

1- أما الرأي العام: فقد طغت عليه مفاهيم مغلوطة كثيرة، أدت بالمجتمع الى حالة من انفصال الفكر عن الشعور. فهذا المجتمع الذي يعتقد العقيدة الإسلامية، ويسوده شعور بأنه مجتمع مسلم، وتتحرك أحاسيسه وعواطفه على أساس الاسلام، نجده يردد مفاهيم الديمقراطية، ويطالب بتطبيق الديمقراطية والحرية، او بالعدالة والمساواة والاشتراكية، وغير ذلك من افكار الكفر. فتارة ينادي بالقومية، وطوراً ينادي بالوطنية او الاقليمية. ومع ذلك فهو مسلم ملتزم، مؤمن كل الايمان بعقيدته. وكثيراً ما تناقش هؤلاء الناس محاولاً الربط بين أقوالهم وبين مشاعرهم. فتسأل أحدهم إن كان يقبل أن يزوّج ابنته لنصراني او يهودي او مطلق كافر؟! فيثور، لأن مشاعره ما زالت مشاعر إسلامية. وحين تسأله إن كان يقبل أن تتنقل ابنته في أحضان الشباب متمتعة بحريتها؟! فيثور. وتسأله كيف قبل أن يطبّق عليه قانون يحمي الزناة؟! فيسكت. ففي كل مسألة من المسائل الشرعية التي يؤمن بها، لا يقبل أن تُمسّ، في الوقت الذي ينادي هو بنقيضها. هذه أمثلة بسيطة، تبين الإنفصال بين الفكر والشعور، عند عامة الناس أي في المجتمع.

2- وأما المثقفين: فان انفصال الفكر عن الشعور عندهم أبين وأوضح. بل هم اصحاب الاثر في ايجاد هذه العلة عند العامة وفي الرأي العام. فهم نتيجة لتلك الثقافة التي تحدثنا عنها آنفاً، بنيت عقليتهم على عقيدة غير عقيدتهم، وتعلموا كيف يفكر غيرهم، لا كيف يجب ان يفكروا هم. حيث ان طريقة التفكير التي إتخذوها هي طريقة الكافر في تفكيره، والقواعد والاسس التي يقيس عليها الوقائع والاحداث، هي القواعد والاسس التي درسوها، أي هي القواعد والاسس التي تعلموها في ثقافتهم. فمن البديهي ان يكون نتاجهم العقلي منبثقا من تلك الاسس والقواعد. ولهذا كان تفكيرهم كما يفكر غيرهم، لا كما يجب ان يفكروا هم كمسلمين. حيث انهم لم يجعلوا العقيدة الإسلامية هي القاعدة الأساسية في التفكير، ولا اتخذوا من تاريخهم وواقعهم وبيئتهم مقاييس يرجعون اليها في تقييم الوقائع والاحداث. وبهذا اصبحوا عاجزين عن ان يكونوا مفكرين حقيقيين. واصبحوا بوصفهم مفكرين مثقفين، غرباء عن مجتمعهم بعيدين عن مشاكله، غير مدركين لحاجاته. وبذلك صار شعورهم منفصلا تماما عن افكارهم وعقلهم. فهم بمشاعرهم جزء من هذا المجتمع، شاءوا ام أبوا. ومشاكل هذا المجتمع هي المشكلة التي يعانون منها بينهم وبين انفسهم. وحاجات هذا المجتمع هي نفس الحاجات التي يحتاجونها. الا انهم في تفكيرهم على تلك الاسس صاروا غرباء طبيعيا عن الامة وعن شعورها وأحاسيسها. وفئة هذا حالها من الطبيعي ان لا تدرك قضيتها، وان لا تفهم الاوضاع الموجودة في البلاد. ولا يمكن ان تعي على النهضة ولا على الطريقة المؤدية للنهضة. فاذا ما وجد منهم ما يريد ان يتحرك للنهضة، فان تحركه هذا لا يمكن ان يوجِد التكتل الصحيح، المسبوق بتفهم صحيح للنهضة - ففاقد الشيء لا يعطيه-. هذا هو الواقع الذي وجد بعد احتلال الكفار لبلاد المسلمين، والنتيجة التي وصلنا إليها بسبب هيمنة الكفار وتوجيههم للرأي العام، وفرضهم مناهج التعليم التي يريدون. فتعقدت المشكلة امام من يريد الاصلاح والنهوض بالامة من كبوتها. فبعد ان كانت المشكلة هي النهوض بمجتمع مسلم على أساس العقيدة

الإسلامية، أصبحت الآن اكثر تعقيداً. إذ انه لا بد من ازالة هذا الانفصام بالشخصية، ومحاولة ايجاد التناسق بين فكر الامة وشعورها، وايجاد التناسق بين فكر المثقفين وشعورهم، وايجاد التناسق بين الامة وابنائها من المثقفين الذين أمسوا غرباء عنها. نعم اصبحوا غرباء عنها.
والسبب في ذلك ان هؤلاء المثقفين قد أخلصوا للفكر الاجنبي – ولو انه خال من الشعور - مما جعلهم يشعرون انهم غرباء عن هذا المجتمع. بل انهم باتوا يحتقرونه، ويعيشون في عزلة عنه، وينقمون على الحياة التي جعلتهم ينتمون الى هذا المجتمع. وترى أن أحدهم وبمجرد اصطدامه بأية مشكلة اقتصادية او اجتماعية او سياسية، قفل راجعاً الى اوروبا، إن وجد الى ذلك سبيلا. أو بات يتحسر إن لم يستطع. وتجده لا يكترث بما يلحق بالمجتمع من آفات ومصائب، هذا إن لم يقف متشفّياً. واننا نرى بأم أعيننا اليوم مدى تعلق الناس بحب الهجرة والذهاب الى تلك البلاد، وترك بلادهم ومجتمعهم، متذرعين بسوء الاوضاع السياسية او الاقتصادية او الاجتماعية، غير عابئين بما تعانيه أمتهم ومجتمعهم من مصائب او كوارث او اوضاع، يسود فيها الظلم السياسي وارتباط حكامه بالاجنبي والتعامل معه.

وقد عم البلاء الان، فبعد ان كان الامر مقتصرا على فئة المثقفين، اصبح الان أمنية عند عامة الناس. فترى عائلات بكاملها تهاجر الى المانيا او السويد او النمسا او غيرها من البلاد الاوروبية. هذا من جهة، ومن جهة اخرى فانك تلحظ ذلك الاحترام الكبير في النفوس للاجنبي، سواءاً فيما يبثّه من سموم عبر وسائل إعلامه او ما يصدر عنه او بمشاهدته او لقائه في الشارع او في الدكان او في السكن او في أي مجال من مجالات الحياة. وكأن لقاءه او الحديث معه يكسب ذلك الشخص مكانة سامية. إن هذا الامر كذلك لم يقتصر على المثقفين، بل تعداه ليشمل عامة الناس، ﴿يبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا﴾ . هذه هي حال المجتمع وحال المثقفين. ومن كانوا هذا هو حالهم، كيف يمكن لهم ان يتصوروا اوضاع بلادهم على حقيقتها، ومعرفة ما يمكن ان ينهض بها. ولذلك فإنه حين يتصور اوضاع بلاده، انما يتصورها تقليدا للاجنبي في تصوره اوضاع بلاده. لا يستطيع ان يفرق بين بلده الرازح تحت حكم الاستعمار وتوجيهه، و البلد المستعمر الذي يتحكم بخيره ويسعى لبسط هيمنته ونفوذه على غيره. فإذا ما طرح الحديث عن النهضة ووسائل وسبل الانتقال بالامة الى الوضع الافضل، يتحدث مرددا العبارات التي أمليت عليه. فتجده يقول إن آفة مجتمعنا الفقر والجهل والمرض. هكذا قيل له، فهو يردد ما يقال. ويقول إن اسباب التخلف الذي نعاني منه هي كبت الحريات، وعدم تطبيق الديمقراطية والاشتراكية. ويتشدّق باستعمال ألفاظ الامبريالية والرجعية، دون ان يعي مدلولات هذه الالفاظ ومعانيها. واما أحاسيسه فإنها لا تتحرك على أساس المبدأ. ان لم أقل انه لا يعرف له مبدأ. فقد تتحرك من اجل الوطن. وأسوق على ذلك مثالا بسيطا: ان مدينة الرمثا الاردنية تبعد عن مدينة درعا السورية بضعة كيلومترات. وكلاهما ينتسب الى عشيرة واحدة تقريبا – آل الزعبي – . ومع ذلك لو قام اليهود مثلا بالاعتداء على طرطوس او اللاذقية، فإن مشاعر اهل الرمثا لا تتحرك لها، بينما تلتهب مشاعر أهل درعا لذلك. في حين لو قامت اسرائيل بالاعتداء على الرمثا نفسها، فلا تهتز لها مشاعر أهل درعا او العكس. ولو جرى اعتداء من الكفار على تركيا او اندونيسيا او غيرها من بلاد المسلمين فإن الامر لا يعنيهم. وهناك ما هو أسوأ من ذلك. فإن اعتداء الكفار على الوطن او الشعب قد يثير المشاعر ويحرك الاحاسيس. أما الاعتداء على المبدأ، فإن الامر لا يعنيهم، وللبيت رب يحميه. وحتى حين يثور من اجل الوطن او الشعب، فإن ثورته تلك لا تكون ثورة صحيحة، وتضحيته لا تكون كاملة. ولو استعرضنا الثورات المتتالية التي تحركت فيها الامة منذ ان فرض الاستعمار هيمنته على البلاد، فاننا لا نجد فيها ثورة واحدة كانت مدركة للاوضاع السائدة، والظروف القائمة. مع ان في هذه الثورات ثورات مخلصة. إلا ان عدم ادراكها لما تريده، وعدم احساسها بحاجة الناس احساسا حقيقياً، جعلا مصيرها جميعا الفشل الذريع. اما الحركات والانتفاضات التي حدثت مطالبة بالنهضة فإنها كانت ردّات فعل

لصدمة حدثت او قرار اتخذ، او ضرب مصلحة، او تقليداً لغيرهم من الامم والشعوب، هذا مع افتراض ثورة احدهم. ولذلك لا تلبث ان تزول هذه الثورة، إما لزوال اثر هذه الصدمة بانطفاء الحماس، وإما باستنـزاف ذلك الحماس بمظاهرة صرخ فيها وهتف، وعبر عن مشاعره بضرب حجر، أو شتم مسؤول، أو هتف بشعار، إلى غير ذلك من أعمال صبيانية، وإما بإلقامه وظيفة تتناسب مع حجمه ووزنه في المجتمع، أو تعيينه في مؤسسة من المؤسسات التي ترضي نزعاته، أو إعطائه وكالة أو مصلحة تدر عليه ربحا معينا. وقد تصطدم هذه الثورة بأنانيته ومصالحه بحيث يشعر بالخطر على مصلحته أو نفسه، أو قد يلحقه منها الأذى كالسجن أو غيره، فيخلد الى الراحة. بل قد يصبح أحد أعمدة النظام القائم ودعائمه، وقد يصبح جاسوسا على من كان إلى جانبه في ثورته.
ومن كان هذا حاله فانه لا يمكن أن يقوم على عاتقه تكتل صحيح. فهو ليس أهلا للاضطلاع بالمسؤولية. ولذلك لا بد أن يعالج معالجة أساسية بايجاد التناسق أولا بين فكره وشعوره، بتثقيفه ثقافة مبدئية صحيحة. ومعنى ذلك أن التناسق بين الفكر والشعور إنما يتأتى من كون الشعور منبثقا عن العقيدة. فيكون إحساسا فكريا. وشعورا حقيقيا. فالفكر حين يتركز في النفس تنبثق عنه حتماً مشاعر وأحاسيس تتناسق مع ذلك الفكر المتركز في النفس. وليس أقوى مطلقاً من فكر له قاعدة أساسية بني عليها كالعقيدة. وعملية تثقيفه بهذه الثقافة ليست عملية سهلة يلقن فيها معارف ومفاهيم لا تحدث في نفسه الأثر. بل لا بد من إفتراض أنه خالٍ من كل فكر. ويصار الى تكوين عقليته تكوينا جديدا. أي أن نوجد عنده طريقة معينة في التفكير. وذلك بإيجاد قناعة مطلقة عنده بمجموعة قواعد ومقاييس منبثقة من أو مبنية على عقيدته. شريطة أن يعاد جلاء الغموض عنده عن أفكار العقيدة وما علق بها من غشاوات. بحيث تصبح العقيدة عنده يقينية، والأفكار المتعلقة بها أفكاراً حقيقية صادقة. مما يؤدي حتما إلى إحساس صادق، ومشاعر متناسقة مع هذه العقيدة. وبهذا يتم التناسق بين فكره وشعوره. ومن ثم يُنتقل لإيجاد التناسق بينه وبين مجتمعه.

أما موضوع التناسق بينه وبين المجتمع، فإن وضوح المفاهيم والافكار المنبثقة عن هذه العقيدة تجعله يؤمن بأنه فرد من هذه الأمة، وعضو من أعضاء هذا المجتمع. كما ينبثق عنها مفاهيم تحتم عليه أن يساهم في إنـهاض هذه الأمة وان يعمل على رفعتها. وهذا يتم ببيان النصوص التي جاءت بها العقيدة مثل قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم " من بات ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم "، وما يفيد هذا النص وغيره من النصوص، التي توجب عليه العمل لإنـهاض الأمة. وبذلك يسهل حل مشكلة النـهوض بالمجتمع. ولولا وجود الثقافة الأجنبية والأشخاص المضبوعين بها، لكانت النـهضة أقل تكاليف مما هي عليه الآن.

هذا من حيث الأمرين اللذين تحدثنا عنهما، وهما الفكرة والطريقة، وعدم وضوحهما وأثرهما في المجتمع. ثم الأشخاص وطريقة الربط بين أعضاء التكتل.

فكيف يمكن إيجاد تكتل صحيح مع هذا الواقع الفاسد. من عدم فهم للفكرة أو الطريقة، أو على الأقل سوء فهم للفكرة أو للطريقة. وكان الأمر يقتصر أحيانا على فكرة عامة وتوحيد هدف لا غير. أما الأشخاص، وطريقة الربط، فقد بيّنّا أي نوع من الأشخاص كان مثقفو الأمة، وأي مجتمع كان ذلك المجتمع الذي حطّموا فيه الأسس التي يقوم عليها.

ولذلك فانه من المستحيل أن يوجد تكتل صحيح مع وجود هذه الثقافة الأجنبية، ولا أن يوجد على أساسها تكتل صحيح كذلك. أي مع وجود هذه الثقافة في المجتمع، وتشويه مفاهيم الناس عن الحياة، فانه يتعذر وجود تكتل صحيح في مجتمع انفصل فكره عن شعوره. كما أن وجود هذه الثقافة لا يصلح لإقامة تكتل على أساسها، من حيث أنـها ثقافة تخالف عقيدة الأمة

ومجموعة القيم الصادقة التي ما زالت تحتفظ بها في مركز ايمانها.

ولم يكتف الاستعمار بهذه الثقافة، بل عمل على إفساد الأجواء العامة وتسميمها بأفكار وآراء فلسفية وسياسية، أفسد بها وجهة النظر عند المسلمين، وأفسد بها الجو الاسلامي، وبلبل الفكر لدى المسلمين بلبلة ظاهرة في مختلف نواحي الحياة.

أما تسميم الجو بأفكار وآراء فلسفية وسياسية أفسدوا فيها وجهة النظر الصحيحة عند المسلمين، فقد نشروا قاعدة (لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان)، وفكرة (أن ما لا يخالف الإسلام فهو من الإسلام)، وفكرة (الدين لله والوطن للجميع)، وفكرة (أن السياسة دجل وخداع)، وفكرة (أن الأحزاب يحرمها الإسلام)، وفكرة (كما تكونوا يولى عليكم)، وغير ذلك من الأفكار والآراء مثل (أن الديمقراطية من الإسلام، أو على الأقل لا تتعارض مع الإسلام)، (ومثلها الحرية). وقد قال عمر بن الخطاب "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا"حيث تسميم الأجواء وإفساد وجهة النظر.
وأما من حيث بلبلة الفكر. فمنه (أن الجهاد حرب دفاعية) و (أن الإسلام ما أعلن حربا مبتدئا، إلا حربا وقائية)، و (أن الديمقراطية هي الشورى)،و (أن الشورى هي نظام الحكم)، و (أن الزكاة هي النظام الإقتصادي في الإسلام)، و (أن طريق الصلاح هي العودة إلى الله)، و (إصلح نفسك يصلح المجتمع)، أو (الفرد فالأسرة فالمجتمع). حتى بلغ الحال بالقول (أن الإحتكام لكافر عادل والرضى بحكمه جائز ، بل أفضل من الإحتكام إلى المسلم الظالم). وقد أفتى بعض أعوان الكفار مثل الشيخ محمد عبده بوقف الجهاد، ووجوب مساعدة الدولة البريطانية على أعدائها لأنها أقرب الأمم إلى الإسلام، وأنها أمة عادلة فمساعدتها واجبة. ذلك بالإضافة إلى أفكار الإستقلال والتحرر، التي من شأنها أن تدفع الناس للقيام بأعمال يستطيع الكافر المحتل أن يتحكم بها ويوجهها إلى الوجهة التي يريد. ما دام أن مركز التنبُّه عند الأمة قد أبعد، وفقدت تصورها لقضيتها، وأبعدت فكرة إقامة دولة إسلامية. فما دام هذا الأمر قد أبعد، فلا بد من إشغال الأمة بنفسها، ودفعها للقيام بأعمال تستنزف ما عندها من مخزون الحماس، فتتحرك حركة المذبوح، فلا تلبث أن تسقط فاقدة القوة والحيوية والحياة. وذلك مثل محاربة وجود القبعة الأوروبية وطرد الجيوش الأجنبية، حتى إذا اندفعت الأمة في مثل هذا الإتجاه اختفت القبعة وراء الكوفية والعقال، وناب عن الجندي الإنجليزي الجندي أو الشرطي المسلم في تنفيذ ما يريده الإنجليز.

ومن جراء جعل شخصيته - أي شخصية الكافر - هي المثل الأعلى عند المسلمين، ولظروف التنافس بين الكفار في امتصاص دماء المسلمين، صارت الإستعانة بالكفار أمراً طبيعياً، بل أمراً لا بد منه. فقد عمد الفرنسيون الى مساعدة الفلسطينيين في ثورتهم، كما عمد الإنجليز الى مساعدة السوريين واللبنانين في ثورتهم، وهكذا. وبات من المؤكد عند السياسيين أنه لا يمكن تحقيق أي هدف أو الوصول الى أية غاية بدون الإستعانة بالأجنبي. وكأن الإستعانة بالأجنبي أصبحت حكماً من أحكام الطريقة، تماماً مثل الدعاية التي تقول أنه لا يمكن أن يصبح شخص وزيراً أو نائباً في البرلمان أو وكيلاً لشركة كبيرة إلا إذا كان ماسونياً. مما دفع أصحاب الطموح إلى البحث هم بأنفسهم عن الماسونية ومحافلها لعلها تحقق لهم ما يطمحون إليه. وكذا العملاء، فإنه بات من المؤكد عندهم أنه لا يمكن الوصول للحكم أو لكرسي من كراسي الحكم أو المصالح الكبرى إلا إذا استعان بالأجنبي. مما جعل أكثر التكتلات تستعين بالأجنبي أياً كانت جنسيته، ومهما كانت أطماعه. وأخذت وسائل الإعلام بالدعوة والدعاية لهذا دون اعتبار أو إدراك أن هذه خيانة عظمى. وأن ربط قضيتنا بغيرنا إنما يعتبر انتحاراً سياسياً. هذا إن كنا ندرك أن لنا قضية، أو إن أدركنا ما هي قضيتنا. ففي كل الأحوال، يعتبر انتحاراً سياسياً. والسبب في ذلك أن الإنتحار هو أن يعمد الإنسان الى قتل نفسه. والكتلة أو الشخص الذي يجعل قضيته بيد غيره، كأنه انتحر سياسياً، أي قتل نفسه سياسياً. لأن قضيتي هي قضيتي وحدي، ومن البديهي أن تخالف وتتناقض مع كل قضايا الآخرين. ووضعها بيد غيري إنما يعني أنني لن أصل لتحقيق قضيتي. فالأجنبي لا يمكن أن يعينني على قضيتي التي من أولى أهدافها أن أطرد الأجنبي. فهل يمكّنني أو يساعدني الأجنبي على تحقيق قضية من أهدافها الأساسية طرده من البلاد!؟ لذلك نقول أن وضع القضية بيد الأجنبي إنما هو انتحار سياسي. ومقضيٌّ على هكذا تكتل بالموت أو الفشل أو خيانة الأمة. ولهذا فإنه لن يكون هناك نجاح لأي تكتل تسمم فكره بالإتكال على الاجنبي أو الترويج له.
وكذلك سمم المجتمع بالوطنية، والقومية، وبالإشتراكية. كما سممه بالإقليمية الضيقة وجعلها محور العمل الآني. وسممه كذلك باستحالة قيام الدولة الإسلامية ،وباستحالة وحدة البلاد الإسلامية. وذلك لما غرسه في النفوس من العداء لشعوب العالم الإسلامي لبعضها، عداء إقليمي وعداء وطني وعداء قومي. أو بما

يدعيه من وجود الإختلاف المدني، والعنصري، واللغوي، مع أنها جميعاً أمة واحدة تربطها عقيدة واحدة هي العقيدة الإسلامية التي ينبثق عنها نظامها. وسممه أيضاً بالأفكار السياسية المغلوطة مثل قولهم: (خذ وطالب) ومثل (الأمة مصدر السلطات) ومثل (السيادة للشعب). مع أن الذي يجب أن يكون واضحاً، ولا يغيب عن الذهن لحظة واحدة، هو أن السيادة للشرع وليس للشعب. ولا بد من التركيز في الأذهان أن السيادة للشعب هي فكرة كفر، وتعني جعل الشعب إلهاً يشرع للناس نظمهم وقوانينهم. وأن السيادة للشعب هي العقيدة الرأسمالية، وتمارسها الشيوعية كذلك. فالشعب عند الشيوعية أو ممثلي الشعب هم الذين يضعون التشريعات. وكذلك في النظام الرأسمالي، فإن مجلس النواب، ويسمى السلطة التشريعية، هو الذي يضع النظم ويسن القوانين.

أما ما جاء في العقيدة الإسلامية فهو أن التشريع أي وضع النظم وسن القوانين وتسيير حياة الفرد والمجتمع إنما هو من عند الله. وليس للإنسان إلا فهم ما جاء في الكتاب والسنة ليستنبط الأحكام التي تبين له النظم، وتوضح له القوانين بأحكام شرعية ليس للمسلم أن يستغني عنها. قال تعالى: ﴿ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾وقال تعالى: ﴿فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾. فلو كانت هذه الفكرة واضحة في الأذهان، محتلة مركز الإيمان عند الأمة، لرفضت الأمة أية تشريعات وضعها أي إنسان سواء أكان مجلس الشعب (البرلمان) أو أية جهة أخرى. لكن تسميم أفكار الأمة بمثل هذه الفكرة جعلها بعيدة كل البعد عن إسلامها مع إيمانها به.

كما سممه بأفكار خاطئة مثل قولهم (الدين لله والوطن للجميع)، ومثل (توحّدنا الآلام والآمال)، ومثل (الوطن فوق الجميع)، ومثل (العزة للوطن)، وما شابه ذلك.

وسمّمه ايضاً بالأفكار الواقعية الرجعية مثل قولهم (إننا نأخذ نظامنا من واقعنا) ومثل (الرضا بالأمر الواقع) ومثل (يجب أن نكون واقعيين)، وما شاكلها.

أما قولنا الأفكار الرجعية والواقعية، فإن كلمات: رجعية، أفكار رجعية، هؤلاء رجعيون، الدول الرجعية. فهي كلمة مضللة، ومصروفة عن حقيقة معناها. والذين يرددونها اليوم إنما يقصدون بها الأفكار القديمة المغرقة في القدم، ويعنون بذلك الإسلام. ويتهمون المسلمين بأنهم رجعيون. أي أنهم في معتقدهم ومعالجاتهم ونظمهم، ونظرتهم للحياة، إنما يعودون للماضي، أي يرجعون للماضي، فهم رجعيون بهذا الرجوع. هذا ما يقصده أولئك المضللون والمضللون. ولهذا كان لا بد من تحديد معنى هذه الكلمة، وتوضيح حقيقتها. أما حقيقة معناها: (فالرجعية تعني تسيير الحياة بحسب الرجع الغريزي، ووضع النظم والمعالجات بناءً على الرجع الغريزي). فمن أعطى الحرية للغرائز، وجعل الحرية قانونه الأساسي الذي تُستنبط منه كافة القوانين المنظمة للحياة، كان هو الرجعي لأنه نظم حياته بناءً على الرجع الغريزي، وترك السيادة للغريزة تتحكم في الحياة، ورأى السعادة في الحصول على أكبر قدر ممكن من المتع الجسدية، أي في إشباعات الغرائز. هذا هو المعنى الحقيقي لكلمة رجعية. وأما ما ذهبوا إليه من معنى وهو الرجوع إلى مخلفات الماضي لتنظيم الحاضر، وأرادوا بها الطعن بالإسلام والمسلمين، فلنعد إلى الماضي البعيد أي الى ما قبل الإسلام. ولننظر إلى حياة الإنسان في ذلك الوقت كيف كان ينظمها؟
لقد كان الفرد قبل الإسلام منطلقاً في إشباع جوعاته الغريزية الى أكبر قدر ممكن، دون قيد أو مراعاة لقانون.
أي أنه كان يباشر حريته المطلقة تماماً كما ينادي هؤلاء الناس اليوم، وكان بذلك رجعياً مسيراً بالرجع الغريزي.

فجاء الإسلام وأخذ بيد الإنسان وميزه بعبوديته لله. وجعل أفعاله جميعها مقيدة بأوامر الله ونواهيه. ونظم حياته بنظم وأحكام وقوانين شرعها له. فخطا به خطوة واسعة إلى الأمام، وأنقذه من عبوديته وإنقياده لغرائزه، وجعل له حق ممارسة الإرادة، وبين له الطريق القويم المؤدي إلى تحقيق السعادة له والحصول على رضى سيده ومولاه، ﴿لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ .

مثال: كانت الفتاة السافرة المتبرجة تمارس حياتها الجنسية كما يحلو لها. وبقيت هذه حال القبائل والشعوب التي لم تعتنق الإسلام، أو غيره من الأديان السماوية التي جعلت للإنسان كرامة. ثم جاء الإسلام وجعل لهذه الفتاة كرامة ومنزلة ورفعها إلى مستوى أم وربة بيت وعرض يجب أن يصان. ويكفيها فخراً أنه أجاز للمسلم أن يقتل أو يُقتل دفاعاً عن شرفها وكرامتها، وجعل عقوبة تشبه القتل لمن اتهمها مجرد اتهام بالفاحشة.

واليوم، يصف هؤلاء – التقدميون - الإسلام بالرجعية ويرجعون إلى حياة ما قبله من عصر، حريصين على السير بحسب رجع غرائزهم. فتصبح الفتاة متعة للشاب، ولا قيد عليها يمنعها من ممارسة إرادتها في كل ما يشبع غريزتها، شرط أن تكون قد اجتازت سن الرشد وأن لا تكون مكرهة على ذلك. فأي الفريقين أحق بالأمن؟ أي الفريقين الرجعي؟ هذا ما تعنيه كلمة رجعية وأفكار رجعية.

وأما كلمة الواقعية. مثل قولهم (علينا أن نكون واقعيين) أو (إننا نأخذ نظامنا من واقعنا) فإنما يعني أن يكون الواقع هو مصدر التفكير. بدلاً من أن يكون موضع التفكير. نعم، إن الإسلام واقعي. أي أنه ليس خيالياً، كما انه ليس لعصر من العصور. وإنما هو أحكام عملية تعالج الواقع الموجود. وما على العالم إلا فهم الواقع والتفقّه فيه ومعرفته معرفة دقيقة. ثم البحث في النصوص التي لها علاقة بهذا الواقع، ومن ثم استنباط المعالجة لهذا الواقع. هذا ما نعنيه بقولنا أن الإسلام واقعي، أي جعل الواقع موضع التفكير. أما مصدر التفكير فيه فهي مجموعة النصوص التي جاءت بها العقيدة، والقواعد الأصولية التي انبثقت عنها، ومجموعة الأفكار التي بنيت على تلك العقيدة. أما الواقعية المذكورة فهي التي تجعل الواقع مصدر تفكيرها. فتأخذ أحكامها من الواقع، وتكيف نفسها وسلوكها حسب الواقع. فلا تسعى لتغيير الواقع، بل تغير سلوكها بحسب الواقع.
وللأسف أصبح من القواعد الأساسية في أذهان الناس كلمة (الرضى بالأمر الواقع)، ويعتبرونها تقدمية، فيقولون أن سياسة أمريكا تقوم على الأمر الواقع (البراجماتية). وعلى هذا عرفوا السياسة بأنها فن الممكنات، أي التعامل مع الواقع لجعله على خير وجه فيه. بينما الواقع الذي نراه إنما هو (ليست السياسة فن الممكنات). بل هي اختيار أفضل الممكنات. أي هي فعالية مؤثرة في الممكنات لتحقيق ما نريد بغض النظر عما اذا كانت هي الأخفّ، او الأسهل، او الأصعب. إذ يجري التعامل مع الواقع لتغييره إلى ما نريد، لا لنرضى به ولو في أفضل حالاته، إن كان خلافاً لما نريد.

هذا هو معنى قولهم علينا أن نكون واقعيين، أو أن نرضى بالأمر الواقع، أو أن نأخذ نظمنا من الواقع. فكلها تعني معنى واحداً هو أن الواقع مصدر تفكيرهم.

أما ما يجب أن يكون فهو جعل الواقع موضع التفكير. والإسلام إنما يتعامل مع الواقع لتغييره إلى الهيئة التي جاء الإسلام بها. ومن هنا نقول الإسلام واقعي. أي أنه أحكام عملية منزلة على الواقع لتغييره إلى

الهيئة التي أمر الله بها. فأحكامه ليست مستمدة من الواقع، ولا هي معالجات مثالية ليس لها واقع، بل إن أحكامه معالجات عملية لا بد من تغيير الواقع بحسبها.

هذا معنى القول الافكار الواقعية. اما ما يؤدي اليه وجود مثل هذه الافكار فهو اليأس والاستسلام والرضى بالامر الواقع. من مثل هدم الخلافة، واستبعاد عودة الدولة الإسلامية، والقبول بالتجزئة، وغير ذلك. ونتيجة لذلك فان المجتمع في العالم الاسلامي ومنه البلاد العربية اصبح على حالة لا تمكن من ايجاد تكتل صحيح. وكان من البديهي ان تخفق كافة الحركات والتكتلات الحزبية إسماً. لانها لم تقم على أساس فكر عميق، يؤدي الى تنظيم دقيق واعداد موثوق به. بل قامت على غير أساس. ومما يؤسف له انها ما زالت حتى اليوم لم تحاول أن تجعل لها أساساً بالرغم من ثبوت الفشل. ومن الطبيعي كذلك أن تكون هذه الأحزاب والتكتلات الحزبية أحزاباً مفككة، لأنها قامت على غير مبدأ. و مَن تتبَّعَها يرى أنها قامت على أساس مناسبات طارئة أوجدتها ظروف اقتضت قيام تكتلات حزبية، ثم ذهبت هذه الظروف، فذهبت بذهابها تلك الأحزاب. أو ضعفت وتلاشت. والأمثلة على ذلك كثيرة، أسوق منها على سبيل المثال لا الحصر، ما حصل في الأردن 1956 فقد اقتضت الظروف في حينه فسح المجال أمام الأحزاب للعمل، وذلك للظرف السائد من انتشار الناصرية، وارتفاع درجة الحرية والتحرر في البلاد. فأجازت الدولة العمل الحزبي، فوجد في الأردن سبعة أحزاب مجازة رسمياً. فلما انتهى الظرف الذي وجدت من أجله، بافتعال مؤامرة قام بها ضباط من عملاء القصر (علي الحياري وعلي أبو نوار)، وفرضت بسبب ذلك الأحكام العرفية، وجمد النشاط السياسي، وإذ بالأحزاب تنتهي، أو تضعف وتتلاشى. وما حصل في الأردن دائم الحدوث في كافة أقطار العالم الإسلامي. فبالأمس القريب، أعلن ضياء الحق رئيس جمهورية باكستان إلغاء الأحكام العرفية أو ما يسمى بلغتهم (Marshal Law)، كما أجاز العمل السياسي الحزبي. فتشكل في البلاد العديد من الأحزاب أجيز منها رسمياً أحد عشر حزباً، لم يكن لغالبيتها وجود. فكيف تم تشكيلها بهذه السرعة، لولا أنها قامت على مصالح آنية أنانية. أو أنها تمت بين مجموعة أشخاص تربطهم صداقات أو منافع، أرادوا تحقيق مصالحهم عن طريق التكتل السياسي. وبهذا لم يكن بين هؤلاء الأشخاص رابطة حزبية صحيحة، ولم يكن تكتلهم على أساس مبدئي.

أثر التكتلات السابقة

إن هذه التكتلات بالرغم من كثرتها، وتعاقب وجودها، وما تبذله من جهد ونشاط، فإن وجودها لم يكن خالياً من المنفعة فحسب، بل كان ضاراً بالأمة. وذلك لأن:

1) ان وجودها في المجتمع يحول دون وجود التكتل الصحيح، أو يؤخر وجوده على الأقل. فالمسلم بطبعه وعقيدته ميال إلى التكتل والعمل الجماعي والحركة. فإذا ما وجد أمامه هذه التكتلات وانخرط فيها، وتأثر بأجوائها، واستنـزفت منه الطاقة الدافعة للعمل، ووصل إلى نتيجة أسوأ من النقطة التي بدأ منها، كفر بالأحزاب والتكتلات. حتى سيطر على أذهان العامة أن وجود الأحزاب ضرر فظيع بالأمة، وملأ الشك قلوب الناس.

2) أصبح الناس ينظرون بحذر شديد الى كل حركة حزبية حتى لو كانت صحيحة. وما أسهل أن توجد الإتهامات لأي تكتل يبرز في المجتمع، وذلك لما عهده الناس في الأحزاب والتكتلات السابقة.

3) نتيجة لقيام هذه الأحزاب على مثل ما ذكرنا من الروابط، وطبيعة عملها في التنافس على المصالح وتحقيق المطالب، أو قيامها على أفكار عشائرية أو إقليمية أو وطنية، فإن وجود الصراع بينها أمر حتمي، مما يورث الحزازات والأحقاد. ذلك لأن أياً منها ليس عنده ثقافة معينة أو أفكار معينة يصارع الآخرين بحسبها. فالنتيجة الطبيعية وجود الحزازات والأحقاد.

4) ما دامت هذه الأحزاب قد وجدت من أجل تحقيق المنافع والوصول إلى المكاسب، فمن البديهي أن تنتقل هذه الأفكار المنحطة إلى أعضائها، وبالتالي إلى المجتمع الذي وجدت فيه. وحين ترى الفرد فيها يتنقل بين حزب وآخر سعياً وراء هدف يطلبه، أو منصب يرغبه، فإن وجود فكرة النفاق، والدوران حول المصالح، والتذبذب في العمل، نتيجة طبيعية لهذا الحزب.

لهذا كله فقد أفسدوا على الجمهور طبيعته النقية. وغرسوا فيه افكاراً سيئة صارت عبئاً جديداً على أي تكتل صحيح يظهر في مثل هذا المجتمع. وكما قلنا ما دامت عقيدة المسلم تدفعه للتكتل والعمل الجماعي وتحرم عليه الاستكانة، فان حتمية وجود التكتل الصحيح مسألة وقت. فلا بد من ظهور هذا التكتل الصحيح.
وقامت الى جانب الحركات الإسلامية والقومية والوطنية، حركات شيوعية تقوم على أساس المادية. وكانت هذه الحركات تابعة للحركة الشيوعية في روسيا وموجهة بتوجيهها. وطريقتها الهدم والتخريب، ومن غاياتها - مع ايجاد الشيوعية في البلاد - التشويش على الاستعمار الغربي لصالح المعسكر الشرقي، بوصف القائمين عليها عملاء له. وقيام الشيوعية على أساس المادية ليس هنا مجال بحثه، الا ان مختصر القول فيه ان الشيوعية تقوم على العقيدة المادية أي - لا اله والحياة مادة -. وهذا يعني ان المادة أزلية، والموجودات وجدت بالتطور المادي. سواء وجود الانسان او الكائنات الاخرى انما كانت نتيجة تطور المادة وانتقالها من حال الى حال افضل. ولذلك فان المادة أساس كل شيء، والعقل انما هو حالة من حالات المادة، بل هو أرقى تطور للمادة. ونظم الانسان في الحياة وقوانينه انما هي من المادة. هذا هو معنى أنها تقوم على فكرة المادية.

هذا من حيث الفكرة. أما من حيث طريقتها. فهم يقولون ان كل شيء في الوجود قائم على التناقضات، وللاسراع في عملية التطور لا بد من تحريك التناقضات في الحياة. اذن فهذه الاحزاب كانت تقوم على فكرة وطريقة، بغض النظر عن صلاحية هذه الفكرة او بطلانها. الا اننا نستطيع ان نقول انها وضعت فكرة وطريقة. ولكنها كذلك لم تكن فكرتها واضحة محددة. كذلك لم تكن الطريقة واضحة بينة. ومع ذلك لا ننكر وجود فكره مبدئية لديها، وطريقة من جنس الفكرة، وان لهذه الحركات غاية محددة هي ايجاد الشيوعية في البلاد. الا ان هذه الغاية البعيدة يسبقها ايجاد التشويش على الاستعمار الغربي الموجود في العالم الاسلامي. ومن هنا نقول ان الغاية لم تكن واضحة بينة حيث انها أخذت تسير حسب رغبة روسيا وتوجيهها، لا بحسب ما تحتّمه طريقة المبدأ، وما تمليه من افكار وأعمال. فكان البارز على اعمالها الهدم والتخريب، وايجاد الحقد والبغضاء بين العمال وأرباب العمل، وبين الفلاحين واصحاب الأراضي. وقد نجحت الى حد كبير في هذه النقطة بالذات، وأعني ايجاد العداوة والبغضاء بين الناس في علاقاتهم. وقد استطاعت تحريك الأمة في كثير من الأحيان ضد الافكار الغربية والمصالح الغربية ولكن خدمة لروسيا، لا تنفيذاً لفكرتها او طريقتها. ولذلك فاننا نستطيع الجزم بأن القائمين عليها لم يكن لهم أي شعور تجاه هذه الأمة لأنهم أصبحوا عملاء لروسيا

يسيرون حسب أوامرها لا حسب ما تقتضيه الفكرة او الطريقة.

ولهذا لم تتجاوب الأمة مع هذه الحركات، ولم تحدث أثراً يذكر، إلا ما أشرنا اليه. وكان فشلها وإخفاقها أمراً طبيعياً. وذلك للأسباب التالية:

1. لأنها تخالف فطرة الانسان: فالانسان فطر على أمور وجدت فيه. والقضاء على هذه الأمور مستحيل لأنها جزء من تكوينه. ومحاولة كبتها لإزالتها إنما تسبب الشقاء للانسان. والملاحظ ان هذه العقيدة لا تقرّ بوجود أمور فطر الانسان عليها، بل تعتبرها أموراً مكتسبة من المجتمع الذي يعيش فيه الانسان. فالتديّن ليس فطرياً في الانسان، وإنما هو صفة مكتسبة او فكرة لُقّنها وهو طفل. ولذلك فهم لا يقرّون بها، ويعتبرون أن الألوهية فكرة ابتدعها عقل الانسان. هذا من حيث التدين. ولم يقف الأمر عند حد التدين، بل تعدّى ذلك الى الغرائز الاخرى الموجودة فطرياً في الانسان، كغريزة التملك. أو بتعبير آخر، ظاهرة التملك في غريزة البقاء. فهم يقولون كذلك ان حب التملك ليس فطرياً وإنما أملته حياة الناس في المجتمع الرأسمالي، وأن هذه الافكار يتلقنها الفرد منذ نعومة أظفاره، فتصبح وكأنها فطرية فيه. مع ان هذا القول منافٍ للحقيقة، وخطأه واضح للعيان. فالطفل الذي لم يلقّن أية فكرة، ولم يكتسب بعدُ أية معلومات، نجده يصرخ اذا حاولنا ان نأخذ منه شيئاً يمتلكه. ويحاول ان يحوز كل شيء يلفت انتباهه. ألم يشاهد أحدهم إبنه او أخيه في مثل هذه السن وما قبلها، وكيف يصرخ إن أخذنا منه ثدي أمه أو زجاجة الرضاعة؟ ومع ذلك يصرّون على أنها أفكار مكتسبة، مكابرةً منهم.

2. لأنها تناقض عقيدة الاسلام: أي تناقض عقيدة الأمة. ولذلك لم تكن هذه الاحزاب قادرة على الجهر بعقيدتها. بل كثيراً، إن لم نقل دائماً، ما كانت تخاطب الناس من بطونهم. وأبرز ما تتحدث به الاشتراكية، ومعالجاتها الاقتصادية. والثغرة التي كانت تنفذ منها الى عقول الشباب وبعض الناس هي إعلانها العداء للغرب الذي هو العدو الأول للناس، وبعض مواقف روسيا المناهضة للغرب والمنافسة له في الهيمنة على البلاد. أما أن تجهر بإلحادها ومعاداتها للاسلام، فهذا أمر لم تجرؤ على القيام به. بل أكثر من ذلك، فقد كانت تدّعي أنها تحترم الأديان وتقرّ بالاسلام. ومن غرائب الأمور ان الحزب الشيوعي في السودان كان يفتتح جلساته بتلاوة من القرآن الكريم. وفي مثل هذه الحالة، فان هذه الحركات كان فشلها طبيعياً.

3. تبنّيها القضايا الوطنية: فلم تكن هذه الاحزاب فروعاً لحزب واحد او حركة شيوعية واحدة، بل كانت الصفة الوطنية ومشاكل القطر الذي هي فيه هما الصفة البارزة لكل حزب. ففي لبنان حزب شيوعي له قيادته المستقلة، وفي سوريا كذلك، وفي كل قطر من الاقطار الإسلامية حزب شيوعي له قيادته الخاصة، ولا علاقة سياسية بينه وبين أي حزب شيوعي آخر. وكل حزب من هذه الاحزاب تبنى المشاكل الوطنية وأخذ يعمل على أساسها. ومثل هذه المواقف من البديهي أن لا تجعل له أثراً كحزب شيوعي في العالم الاسلامي.

ولهذا كان وجود الحركات الشيوعية في العالم الاسلامي عقدة تضاف الى غيرها من العقد التي يعاني منها المجتمع. ويعاني منها التكتل الصحيح حين وجوده.

الجمعيات

وقامت تكتلات اخرى أساس الجمعيات. فقامت في البلاد جمعيات محلية واقليمية تهدف الى غايات خيرية. فأقامت مدارس ومستشفيات وملاجئ، وساعدت في اعمال البر والخير. وكانت تغلب على هذه الجمعيات الصبغة الطائفية. وقد شجع الاستعمار هذه الجمعيات حتى ظهرت أعمالها الخيرية للناس. وكانت اكثرها جمعيات ثقافية او خيرية، ولم يوجد بينها جمعيات سياسية الا نادراً. وبالرغم من وضوح عدم جدوى هذه الجمعيات، الا انها ما زالت تستقطب الآلاف من ابناء المسلمين وفعالياتهم، وما زال ضررها خفياً بحيث ان الناس لم يدركوه وما زالوا متأثرين بهذه الجمعيات، ويعتبرون ما تقوم به من اعمال هي اعمال خير ولبنة في بناء المجتمع، وخصوصاً الجمعيات الثقافية او الخيرية. ومن طريف ما حصل في هذا المجال، إتساع هذه الدائرة بحيث شملت كل ضيعة تقريباً، بل إن بعض الضيع والقرى زاد فيها عدد الجمعيات عن واحدة. وقد وصل الحال ان يكون لكل عائلة او عشيرة في القرية الواحدة جمعية خيرية، ناهيك عن الجمعيات التي تحمل أسماء عقائدية كجمعية المحافظة على القرآن، وجمعية تحفيظ القرآن الكريم وتدريسه، وجمعية البر والاحسان، وجمعية الاخوان المسلمين، وجمعية الأخت المسلمة. حتى بلغ عدد الجمعيات الخيرية الإسلامية في لبنان مثلاً ألفاً ومائتين وعشرين جمعية خيرية إسلامية وعلى رأسها جمعية المقاصد الإسلامية وجمعية دار الايتام الإسلامية، وغيرها. وكلها تقوم باعمال خيرية فعلاً. وكثير منها يقوم باعمال خيرية جزئياً ويحصل على مكاسب وأرباح مما يجني من مساعدات تأتي لهذه الجمعيات، حتى أصبحت في كثير من الأحيان وسيلة للكسب والثراء. وقد تأثر بهذا الاسلوب كثير من الأحزاب والتكتلات حتى جعلت فرعاً منها يقوم بأعمال الخير كفتح مستوصفات او مدارس او مستشفيات او غير ذلك. هذا هو واقع الجمعيات.

النتائج التي أدت إليها الجمعيات

لا بد من النظرة الدقيقة الى هذه النتائج لمعرفة ما اذا كانت قد قدمت للأمة شيئاً يساعد على النهضة. حيث ان الموضوع هو النهضة. وهل أن الطريق الذي تسلكه يساعد على النهضة؟ وهل أن ما تقوم به من مساعدات يقدم شيئاً للنهضة؟

هذا ما يجب النظر اليه عند النظر الى نتائج هذه الجمعيات. وليس المطلوب النظر الى ما قامت به من اعمال خيرية كبناء مستشفى او بناء مسجد او بناء ملجأ للعجزة او غير ذلك من الاعمال التي يظهر فيها انها اعمال خيرية. فليس المقصود ذلك.

وإنما المقصود هو النهوض بالمجتمع وايجاد النهضة عند الأمة. ان الناظر الى هذا الجانب من عملها لا يجد

أنها قدمت شيئاً في هذا السبيل مطلقاً.

وما دام الأمر كذلك، فهل يقال ان وجودها كعدمه؟ لا. لا يقال ذلك لأن وجودها ضرر محض، ولكن ذلك الضرر لا يدركه الا المدقق في واقع هذه الجمعيات والتكالب على وجودها. بغض النظر عن النفع الجزئي الذي أشرنا اليه آنفاً. فأين الضرر إذن؟؟؟

ان موضوع البحث هنا هو النهضة لهذه الأمة الإسلامية. حيث ان الحالة التي وصلت اليها من التخلف والتجزئة، والانحطاط الفكري، تحتّم على ابناء هذه الأمة – خصوصاً من عنده شيء من الوعي او الاخلاص – تحتّم عليه ان يبحث عن ويتحسس عوامل النهضة والإرتقاء بهذه الأمة الى المكانة السامية اللائقة بها. وأن الأمة برمّتها بحكم وجود بعض الافكار والمفاهيم الإسلامية فيها، وبحكم تطبيقها لبعض أحكام الاسلام حتى الآن، وبحكم صفاء عقيدتها، وبحكم إيمانها المطلق بأنها كانت في مقدمة الأمم قروناً عديدة، وبحكم إيمانها بوجوب عودتها الى الله، وعودة سيادتها للأمم الأخرى، وإيمانها المطلق بوجوب الجهاد، كل هذا جعل مشاعرها مشاعر إسلامية عارمة، وعواطفها عواطف إسلامية، وجعل أحاسيس النهضة موجودة دائماً فيها. ولما كان هناك العديد من النصوص والاعمال التي ركّزت الروح الجماعية في الأمة، لذا فقد وجد في الأمة الميل الطبيعي للتكتل. هذا هو واقع الأمة. أمة فيها بعض الافكار والمفاهيم الإسلامية، والمشاعر فيها مشاعر إسلامية، والروح الجماعية مركزة فيها، وأحاسيس النهضة يحركها هذا الواقع الفاسد الذي تعاني منه. فأمة هذا حالها، لو تركت وشأنها لتحولت هذه الأحاسيس والمشاعر الى فكر. وهذا أمر طبيعي او منطقي. ولكان هذا الفكر قد أنتج عملا ينهض الأمة، ويرشدها الى كيفية النهوض. ولكن وجود الجمعيات هذه حال دون ذلك. إذ أوجد عند الأمة متنفساً لعاطفتها المتأججة، وإستنـزافاً لما فيها من طاقة للعمل، وقياماً بواجب تراه فرضاً عليها، واستجابة لقوله تعالى ﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى ﴾. فيرى عضو الجمعية أنه بنى مدرسة او أنشأ مستشفى، او ساهم في عمل من أعمال الخير، **فيشعر بالراحة والطمأنينة، ويقتنع بهذا العمل ظناً منه أنه قام بما أوجبه الله تعالى على هذه الأمة**. وتراه يقول لو أن كل واحد منا ساهم بما يقدر عليه من عمل من اعمال الخير والبر، لأنقذنا الأمة مما هي فيه، او على الأقل لخففنا من الآلام التي تعاني منها أمتنا ؟!!!

فلو لم تكن هذه الجمعيات موجودةً، ولم يجد هؤلاء الأشخاص **متنفّساً** يخفف من الضغط الحاصل على نفسياتهم من إحساسهم بوجوب العمل لاستمروا في البحث حتى يوجد التكتل الصحيح الذي ينهض بالأمة، على أساس مبدئي صحيح. وهذا أمر طبيعي. من حيث ان الواقع، ومؤثراته، ومخالفته لما في النفس من مفاهيم وأفكارإسلامية، ومناقضته وعدائه لما عند الأمة من مشاعر إسلامية، ووجود الطاقة الحيوية فيها، من البديهي أن يدفعها للبحث والتنقيب عن طريقة للخلاص. الا ان وجود الجمعيات وظهور اعمال خير لها صرف الأمة عن مواصلة البحث، وألقى في روع الكثير من أبنائها أن هذه هي طريق الخلاص.

إذن، فإدراك خطر وجود هذه الجمعيات مسألة دقيقة يتطلب عمقاً وإمعان نظر. **ولا نعني أن القيام بأعمال الخير والبر أمر محرم ولا يجوز شرعاً. بل إن المسألة هي خلاف ذلك. فعمل الخير يبقى خيراً، وجزاؤه الثواب، والتعاون على عمل الخير هو تعاون على البر والتقوى.** **الا ان المسألة لا تبحث على هذا الصعيد. وإنما تبحث من حيث أنها طريق للنهضة، او ليست طريقاً لها؟ وهل يجوز أن تعتبر هذه الجمعيات طريقاً للنهضة، وعملا من اعمال استئناف الحياة الإسلامية؟ وهل إن وجودها معينٌ او معيقٌ للقيام بالنهضة واستئناف الحياة الإسلامية؟ هكذا يجب ان يُنظر الى المسألة. لا من حيث أن هذا العمل جائز او مندوب او فرض.**

هذه هي مسألة الجمعيات الخيرية، وأثرها على ايجاد تكتل صحيح في المجتمع.

وقامت - الى جانب الجمعيات الثقافية والخيرية - **جمعيات أخلاقية** تعمل لإنهاض الأمة على أساس الاخلاق بالوعظ والارشاد والمحاضرات والنشرات، على اعتبار أن الخُلق أساس النهضة. وقد بذلت في هذه الجمعيات جهود وأموال، ولكنها لم تكن لها نتائج هامة. ونفّست عاطفة الأمة بهذه الأحاديث المملولة المكررة. وقد كان قيام هذه الجمعيات مبنياً على الفهم المغلوط لقوله تعالى مخاطباً الرسول ﷺ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾، ولقوله ﷺ"إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق"، ولقوله ﷺ" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، او ما ذهب اليه الشاعر بقوله:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت==========فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

إن فهم هذه الأدلة التي ذهبوا اليها في استدلالهم على الأخلاق يحتّم علينا ان نتساءل عن معنى الأخلاق التي أرادوها. فهل أرادوا بالأخلاق كل عمل يقوم به الانسان، أم أرادوا بها الأخلاق التي يتصف بها الفرد أثناء قيامه بالعمل او القول؟

فإن قالوا إنما المراد بالأخلاق: كل عمل يقوم به الانسان. فان هذا القول غير صحيح. وهو تحميل للكلمة معنىً غير المعنى الذي وُضعت له. فالتجارة والزراعة وكتابة العقود والجهاد وغير ذلك من الاعمال لا توصف بأنها أخلاق. وإنما هي اعمال يقوم بها الانسان، ويتصف بصفات معينة حين قيامه بها. فهو حينما يتحدث بحديث كنقل واقعة او خبر أو أداء شهادة، فهذا عمل قائم بذاته. وحكمه حكم ما جاء به الشرع. الا ان

هناك حكماً آخر يتعلق بالفرد حين قيامه بهذا الفعل. فقد يتصف بالصدق في قوله، وقد يتصف بالكذب. وقد أوجب الشارع على الفرد أن يصدُق في حديثه، كما أجاز له أن يكذب في بعض الحالات، او أن يواري في حالات اخرى، وحرم عليه أن يصدق في حالات غيرها. إذن فالصدق صفة خلقية يتصف بها الفرد أوجبها عليه الشرع. والعهد عقد بين طرفين. ويتصف المتعاقدان بصفة معينة قد يلتزمها طرف دون طرف. فأوجب الشرع على المتعاقدين الوفاء، إلا ان بعضهم قد يغرر وقد يخدع. فهذه صفات يتصف بها المتعاقدان، وهكذا. فالأخلاق صفة للفرد يتلبس بها حين قيامه بالاعمال او الاقوال التي يريد القيام بها. ونخلص الى القول بان الاخلاق جزء من مقومات الفرد، والتي هي العقيدة والعبادة والاخلاق والمعاملة. وصلاح الفرد بصلاح هذه المقومات الأربع، وفساده بفسادها أو فساد بعضها. فمهما سمت أخلاق الفرد، ومهما اتصف بصفات حميدة، فلا قيمة لها مطلقاً إن كانت عقيدته فاسدة. فلا يقال إن الكافر لا خلق له. إذن أن هناك من الكفار او الملحدين من يتصف بصفات حميدة مثلاً. فهو لا يكذب، ولا يخون، ولا يغدر. ومع ذلك فانه لا يعتبر فرداً صالحاً، لأن الأساس في مقوماته ان تكون مبنية على عقيدته. من هذا الفهم لواقع الأخلاق، نعود لفهم النصوص التي حاولوا الاستدلال بها. فعملية الاستدلال بنص من النصوص تحتّم فهم الواقع والتفقه فيه، تماماً كفهم النص وفهم ما دلّت عليه ألفاظه وتراكيبه.

فالنص الاول، وهو قوله تعالى ﴿وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ هو خطاب من الباري عز وجلّ موجّه لرسول الله ﷺ. فقد جعله الله على خلق عظيم. فجمّله بالصفات الحميدة في كل أفعاله. وبالتالي فان هذا الخطاب هو وصف لشخص الرسول ﷺ وليس للمجتمع. والمراد من بحثنا هو كيف ننهض بالمجتمع؟ فالمسألة مسألة النهضة.

(إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق) وقوله (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). ﷺ وأما النصان الآخران، قوله ﷺ فإن المعنى المراد هو كافة أفعال الانسان، وأنه بعث لبيان كافة الاحكام الشرعية الواجب على الانسان التقيد بها. فالمسألة إذن ليست مسألة خلق او صفة، بل مسألة تكوين الشخصية الإسلامية كاملة من عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملة. وما زال الموضوع متعلقاً بصفات الفرد او مقوماته.

وأما قول الشاعر، فلا مجال للإستدلال به، لأنه قول شاعر، والاستدلال إنما يكون بالكتاب والسنّة فقط. هذا بالاضافة الى خطأ الشاعر فيما ذهب اليه. إذ أن الأمم بعقيدتها والافكار التي تحملها، والنظم التي تطبقها، والكيان السياسي الذي يحفظ لهذه الأمة وحدتها، ويوجد لها مكانتها.

لذلك فان الخطأ في الفهم إنما كان مبنياً على الفهم المغلوط للمجتمع، والتصور بانه مكون من أفراد. ولذلك لا بد من معرفة مكونات المجتمع لتعرف مقوماته، ويصار الى تقويمه بناءا على هذه المقومات.

وبالنظر في مكونات المجتمع، يُرى أنه جماعة من الناس، وأفكار ومشاعر ونظام. هذه هي مكونات اي مجتمع. وفساد المجتمع وصلاحه متوقف على صلاح الافكار والمشاعر والنظام. حيث ان الناس هم الناس وهم حمَلة هذه الافكار وبصلاحها يصلحون وبفسادها يفسدون. أما مقومات الفرد فهي كما أسلفنا عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملة. وصلاح الفرد إنما يكون بصلاح مقوماته وفساده بفسادها كذلك. أما أن يُتَصوّر ان المجتمع مكون من افراد، فهذا تصور خاطئ، والسير بصلاح الفرد للوصول الى صلاح المجتمع سير خاطئ، ولا يمكن أن يحقق تلك النتيجة على الاطلاق. فهما طريقان مختلفان لا يصلان أبداً الى نفس التنيجة. وليست المسألة أن هذا الطريق أقصر أو أبعد، بل المسألة انهما طريقان مختلفان لا يؤديان الى نفس التنيجة.

وبيان ذلك، أننا لو قمنا باصلاح الفرد صلاحاً تاماً، بحيث بلغت نسبة مَن أصلحنا من المسلمين أكثر من 90% من الذين اعتقدوا الاسلام عقيدة يقينية واضحة نيّرة، ولم يأخذوا فيها شيئاً ظنّياً، والتزموا العبادات على أكمل وجه، فرائض ونوافل. فالصلاة، يصلي الفريضة المكتوبة، والنافلة المؤكدة وغير المؤكدة، ويقوم الليل فلا يوتر الا قبيل الفجر. ويزكي ماله ويتصدق بأكثر من ثلث ماله فلا يترك يتيماً ولا مسكيناً إلا أعاله. ويصوم صوم سيدنا داوود عليه السلام بالاضافة الى شهر رمضان المبارك. ويحج ويعتمر معظم سنيّ حياته، هذا من حيث العبادات. بالاضافة الى تلاوة القرآن التي هي خبزه اليومي والضراعة الى الله قياماً وقعوداً وعلى جنبه. فهل بعد ذلك من شيء؟ وأما أخلاقه فخلقه القرآن أي أنه يتصف بكل صفة حسنة ذكرها الله سبحانه في قرآنه، وأما معاملته مع الناس فمقياسه الحلال والحرام، فلا يقدم في معاملته على محرَّم ابداً.

لو افترضنا أن غالبية المسلمين جعلناهم على مثل هذا النمط، فهل يصبح مجتمعهم مجتمعاً اسلامياً؟ مع أن

فيه قابلية أن يُحكَم بأنظمة الكفر، ويسوده ويتحكم فيه أناس كفرة، والفاسق او الفاجر ومن يفعل الموبقات ليس هناك من يقيم عليه حد، والبلاد التي يحيون فيها نهب لغيرهم، وليس لهم أي قوة يعتمدونها في حمل الدعوة للعالم. فهل يكون مجتمعهم هذا مجتمعاً اسلامياً؟؟؟ هل يكون مجتمعهم مجتمعاً اسلامياً إن لم يكن لهم كيان سياسي، ودولة تطبق فيها أنظمة المجتمع؟ هل يكون لهم مجتمع اسلامي وليس لهم خليفة ينوب عنهم في تطبيق الاسلام في الداخل وإقامة الحدود وتنفيذ العقوبات على المخالف، ويحمي ثغور هذا البلد ويحفظ أمنه من أي اعتداء، ويجهز الجيوش ويعدُّ العدة لحمل الدعوة الى العالم؟؟؟
لا، والف لا.

فالمجتمع جماعة من الناس بينهم علاقات دائمة. والعلاقات الدائمة وجودها حتمي عند اية جماعة يتوافقون على العيش على بقعة واحدة من الارض. إلا ان وجود هذه العلاقات لا يتم الا بناءا على افكار يتفقون عليها لتنظيم هذه العلاقات. وبوجود هذه الافكار والتزامهم بها تتواجد في نفوس هؤلاء الناس مشاعر متجانسة مع هذ الافكار فيغضبون حين يخرج على هذه الافكار أحد، ويُسرّون حين يلتزم بما اتفقوا عليه أحد.

فحين يتفقون على اشباع غريزة النوع بالزواج، تجد القرية فرحة مسرورة حين يقوم أحد أبنائها بالالتزام بهذه الفكرة. وتقام في القرية الأفراح والأهازيج والأغاني. أما اذا حصل العكس وحاول أحدهم أن يخالف ما اتفقوا عليه، بأن أراد اشباع غريزة النوع عنده بغير ما اتفقوا عليه كالزنا مثلاً، او الإقامة سفاحاً مع امرأة، فان القرية كلها تثور عليه وقد تُقدم على قتله. وهكذا مع كل فكرة اتفقت الجماعة عليها. فمبادلة السلع والبيع، اذا خرج عنها أحد غضب عليه الجميع وسمّوه حرامي. وحاولوا معاقبته. ولأجل أن يبقى الأمر منضبطاً، تنيب هذه الجماعة عنها أميراً او شيخاً او رئيساً او مختاراً يتولى الاشراف على تنفيذ تلك الافكار التي اتفقوا عليها. هذه طبيعة تكوين المجتمعات ليس غير. وإلا فان اجتماع آلاف من البشر على ظهر سفينة لا يكون مجتمعاً. لأنهم لا يشتركون في افكار واحدة، ومشاعرهم ليست واحدة، ولم يتفقوا على نظام واحد. بل يخضعون لنظام السفينة، ولم ينيبوا عنهم من يشرف على تنفيذ ما اتفقوا عليه لأنهم لم يتفقوا على شيء أصلاً. ونخلص الى القول أن المجتمع هو جماعة من الناس بينهم علاقات دائمة تنظمها افكار واحدة، ومشاعر واحدة، تكون على أساسها نظاما واحدا، وينـاب عنهم أحدهم لتنفيذ ذلك النظام. ومن هذا يتبين ان مقومات المجتمع هي افكاره ومشاعره والنظام المنبثق عن هذه الافكار ونائب ينوب عنهم (أي حاكم) يتولى التنفيذ.

فصلاح هذا المجتمع بصلاح هذه المقومات، وفساده بفساد هذه المقومات. واما ما يقال عنه أنه عرف عام. فان الافكار والمشاعر حين تأخذ دور العراقة والتركيز في النفوس يتكون من اتحادهما عرف عام يصبح له قوة القانون، بل إنه في كثير من الاحيان أقوى أثراً من القانون. ويصبح وكأنه رقيب على تصرفات الافراد والحكام. بالعرف العام يخيف الحاكم تماماً كما يخيف الفرد.

وحين نريد اصلاح مجتمع ما، علينا أن نقوم باصلاح العرف العام فيه عن طريق اصلاح الافكار والمشاعر الموجودة فيه. وبالتالي يصار الى تغيير النظم المطبقة، وتغيير الحاكم المنفذ لتلك الافكار. فالعمل مباشرة يكون عملية اصلاح وتغيير العرف العام. وذلك ببيان فساد الافكار العامة الموجودة وبيان فسادها للناس حتى يقتنع الناس بفسادها فيعمدوا لتغييرها. وبالتالي تتغير نظرتهم للحاكم ويعمدوا لتغييره. هذه هي طريقة تغيير المجتمع واصلاحه. لا عن طريق الفرد، لأن طريق اصلاح الفرد تختلف تماماً عن هذا الطريق.

الا ان الفئة او الجماعة او التكتل او الحزب القائم على عملية التغيير لا بد وأن يكون افراده جميعهم قد أصلحت عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم. ولا يقبلون في صفوفهم أي عنصر فاسد، لأنه لا يكون من جنسهم. فعملية اصلاح الفرد تكون فقط لأعضاء التكتل او الحزب. واما التكتل او الحزب فانه يسير بمجموعه في طريق اصلاح المجتمع.

إن عدم وضوح هذا الفهم لدى تلك الجمعيات جعلها تتخبط في سيرها. ولا تؤدي الى أي شيء يمكن ان يحقق للأمة نهضتها. خصوصاً وانهم كانوا متأثرين بما تركّز في أذهان الكثير من المصلحين وعلماء الأخلاق من أن الفرد إنما تبنيه او تهدمه أخلاقه. فالخلق القويم يجعله قوياً مستقيماً فعالاً منتجاً عاملاً للخير والصلاح والاصلاح. والخلق الذميم يجعله ضعيفاً مسترخياً لا نفع منه ولا خير فيه، ولا همّ له في حياته الا إشباع شهواته وإرضاء أنانيته. ولما كانت الجماعة إنما يبنيها او يهدمها الفرد، والفرد إنما تبنيه او تهدمه أخلاقه، لذلك، فقد ساروا في طريق اصلاح الفرد عن طريق اصلاح أخلاقه.

وهذا الفهم الخاطئ لعلماء الأخلاق والمصلحين جعل خطأهم مزدوجاً. خطأ الظن بتكون المجتمع من أفراد، وخطأ تقويم الفرد بالأخلاق. وقد سبق وأشرنا الى ان الاخلاق هي صفة من صفات الفرد وليست هي الأساس في حياته او سلوكه. فلو أن شخصاً خلقه كخلق الأنبياء ولكنه ملحد فهل يعتبر صالحاً؟ أم أنه يبقى كافراً ولا خير فيه؟ فالأساس في حياة الفرد عقيدته. وأما بقية أعماله وصفاته فيمكن تقويمها، ولا يخرجه اعوجاجها عن الاسلام. فلو ارتكب فرد عقيدته جيدةٌ إساءةً خلقيةً، أو حتى إساءات، فان ذلك لا يخرجه عن كونه مسلماً. ويمكن اصلاحه بسهولة ما دامت عقيدته صالحة. فالقول بأن الفرد إنما تبنيه أخلاقه او تهدمه أخلاقه قول خطأ.

ومما يؤسف له ان هذه الفكرة: فكرة أصلِح الفرد يصلح المجتمع، وفكرة إصلاح الفرد عن طريق الأخلاق، بالرغم من فشل جميع الحركات التي قامت على أساسها، ما زالت هذه الافكار تقتنع بها العامة، وبانها أساس الاصلاح، وما زالت تنشأ على أساسها جمعيات متعددة تسير في نفس الطريق والاسلوب.

مع ان الحقيقة هي أن وسائل اصلاح الجماعة غير وسائل اصلاح الفرد. ولو كان الفرد جزءا في الجماعة، لأن فساد الجماعة آتٍ من فساد مشاعرها الجماعية، ومن فساد أجوائها الفكرية والروحية، وآتٍ ايضاً من وجود المفاهيم المغلوطة عند الجماعة. وبعبارة أخرى، **آتٍ من فساد العرف العام.**

أما قولنا بفساد مشاعرها الجماعية: فيعني أن مشاعرها لم تصبح واحدةً، فهي لا تثور وهي تشاهد الكفر مطبّقاً عليها، ولا تهتز مشاعرها الجماعية وهي ترى أبناءها غارقين في الحرمات، او ترى النظم المطبّقة عليها كفراً صراحاً.

واما فساد أجوائها الفكرية والروحية: فيعني أننا نجد أن افكار الغرب او افكار الكفر قد وجدت الى عقلها طريقاً. فقد امتزجت هذه الافكار بأفكارها (الإسلامية) فنادت بالديمقراطية، ونادت بالحرية، ونادت بالاشتراكية، محاولة المزج بينها وبين الاسلام تارةً، ومجردة تارة اخرى، لفساد الأجواء الروحية. أي غياب ربط هذه الافكار بعقيدتها، وأستبدلت بها مقاييس النفعية. وصار ينظر الى الحكم الشرعي من حيث ما فيه من منفعة، لا من حيث انبثاقه عن عقيدتها. بل انها تنفر من حكم شرعي صريح اذا لم تكن النفعية ظاهرة فيه او حسب مطابقته للعقل. بالاضافة الى تسرب بعض المفاهيم المغلوطة من جواز تولّي الكفار أمورَ المسلمين، او امكانية تغير الأحكام بتغير الأزمان وغير ذلك من المفاهيم الخاطئة مما أدى الى فساد العرف العام. ولم يعد هناك أثر للعرف العام على مجتمعنا. بل ان الفردية أصبحت مطلقة في حياته. وأصبحت اللامبالاة في حياة الناس فكرة أساسية فيهم، وزال من بينهم ما هو من أبرز أعرافهم كمسلمين، وأعني به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فلا يقبل من أحد أن يأمر بمعروف او ينهى عن منكر. فتجد الكثير ممن يردّ على من يحاول القيام بهذا الأمر قائلين له: وما دخلك أنت؟ هذا ما نعنيه بفساد العرف العام.

وكقاعدة أساسية في نجاح أي تكتل من ناحية تكتلية في ايجاد نهضة او اصلاح، لا بد أن يكون هذا التكتل مبنياً على مبدأ معين، وأن يكون مسبوقاً بتفهّم صحيح لهذا المبدأ بفكرته وطريقته، وأن تكون الرابطة بين اعضاء هذا التكتل رابطة صحيحة تجمع بين اعضاء هذا التكتل، أي أن يكون **الإنضمام والعضوية فيه بمقدار وعي هذا العضو على ثقافة هذا التكتل وإخلاصه لها.** وأن يكون العضو – حتى يكون عضواً او مسؤولاً – مؤهلاً للإضطلاع بالمسؤولية والاستعداد للتضحية.

وبالنظر الى التكتلات التي قامت على أساس الجمعية، والتكتلات التي قامت على أساس التسمية الحزبية، نجد أن فشلها كان طبيعياً لعدم قيامها على مبدأ معين. ولم يسبق قيامها تفهّم صحيح لهذا المبدأ، بفكرته وطريقته، ولم يكن الجامع بين افرادها، أي الرابطة التي تربط بين افرادها، رابطة صحيحة.

زد على هذا فان إخفاقها كان محققاً ايضاً من ناحية افرادها. فان العضو فيها لم يكن ينظر اليه من ناحية صلاحيته لهذا العمل، أي من حيث ايمانه بالفكرة التي يقوم عليها التكتل، أو وعيه على تلك الفكرة، او اخلاصه لها واستعداده للتضحية في سبيلها. وإنما يُختار الفرد فيها على أساس مكانته في المجتمع وإمكانية تحقيق الفائدة المعجلة من وجوده عضوا فيها. فقد كان العضو يُختار على أساس انه وجيه في قومه، او غني بين جماعته، او محامٍ، او طبيب، او ذو مكانة ونفوذ، بغض النظر عن كونه صالحاً لهذه الكتلة التي يُختار لها أم غير صالح. ولذلك فانه كان يغلب على اعضاء هذه التكتلات التفكك، وعدم الانسجام. كما تغلب عليها الناحية الطبقية. فاعضاء الحزب او الجمعية يداخلهم تصور خفي بأنهم يمتازون عن باقي الشعب، لا بمالهم ووجاهتهم فحسب، بل بكونهم اعضاء في الجمعية او الحزب ايضاً. ولذلك لا يحصل بينهم وبين الشعب أي

تفاعل او تقارب.

اذن كان اختيار الاعضاء على هذا الأساس، أي المكانة الاجتماعية، ضررا كبيرا على التكتل نفسه، وعلى المجتمع ايضاً. أما ضرره على الكتلة نفسها، جمعية كانت أم حزباً، فقد كان التفكك وعدم الانسجام فيما بينهم أمراً طبيعياً، وإمكانية الانتقال من حزب لآخر، او من جمعية لأخرى أمراً بديهياً، وكان بقاؤه في هذه الجمعية او تلك بمقدار ما يشبع غروره، او يحقق مآربه، او يزيد من مكانته. فقد رأيت في أحد المكاتب السياسية لبعض هذه التنظيمات إثني عشر حامل دكتوراه، ورئيس التكتل شبه أمّي. وبمجرد توقف الانتفاع فرّقتهم أيدي سبأ. وقال لي رئيس تنظيم آخر بالحرف الواحد: "إن رصيدنا اليوم مليون ونصف المليون ليرة، وأنا أعلم أن هؤلاء – ويعني أعضاء المكتب السياسي لكتلته – إنما جاؤوا للإغتنام. فأتمنى عليك لو أخذتم هذا المبلغ. أما أن يأخذه هؤلاء فهو والله جريمة".

هذا هو واقع التكتلات، وهذه خطورة اختيار الاعضاء على أساس المكانة الاجتماعية.

أما خطورته على المجتمع، فان المجتمع يعقد أمله دائماً على كل بارقة أمل تلوح في الأفق، ويرى أن أي تكتل في الأمة قد يؤدي الى إنقاذها او تحسين وضعها على الأقل. وحين يدرك المجتمع واقع هذه التكتلات، ويرى أنها إنما تركض وراء منافعها، وتلهث وراء زيادة مكاسبها ومكانتها، خصوصاً وهو يرى أنهم قبعوا في أبراجهم العاجية، ولا يتصلون بالناس الا حين تكون لهم حاجة، كالانتخابات مثلاً، او جمع التبرعات او غير ذلك، حين يدرك المجتمع ذلك فانه يكفر بالتكتلات جميعها، ولا يسمح لأي منها بدخوله، ولا يخلص لها. وهذا يشكل عقبة كؤوداً أمام أي تكتل صحيح يظهر في المجتمع. وبالفعل، فان هذه التكتلات بتصرفها هذا لم تستطع ان تدخل المجتمع ولا ان تتفاعل معه. بل لم يجر تقارب بينه وبينها، وبقيت في عزلتها. فأمست ضغثاً على إبّالة، أي حزمة فوق الحمْل. وبمعنى اصطلاحي آخر – صنماً على مزبلة -، و همّاً جديداً فوق داءٍ عضال.

ولهذا نستطيع ان نقول **بعد دراسة** معظم التكتلات والجمعيات التي قامت في العالم الاسلامي بأكمله ومعرفة الأسس التي قامت عليها، والظروف التي أوجدتها، والاوضاع التي لاءمت بين افرادها، وبعد التفكر في المفاهيم التي طرحتها، وبعض الافكار التي أوجدتها، والآثار التي تركتها، وبعد استقراء معظم هذه الحركات وتتبّعها من مولدها الى نشأتها وموتها، او تتبّع حياتها إن كانت ما زالت حية، وباستقراء كافة الاقاليم الإسلامية، ورؤية أنها ما زالت تعاني من الانحطاط والتخلف، وما زال الاستعمار يهيمن عليها جميعها هيمنة فكرية وثقافية واقتصادية وسياسية، ولم تبد تباشير أي نهضة او افكار تؤدي او يمكن ان تؤدي الى النهضة، بعد هذه الدراسة والتفكر والاستقراء نستطيع أن نجزم أنه لم ينشأ خلال القرن الفائت أي تكتل صحيح، يؤدي الى نهضة صحيحة، وأن جميع التكتلات والحركات التي حصلت قد أخفقت، والدليل على ذلك بقاء الأمة على حالها، إن لم نقل أنها تزداد سوءاً يوماً بعد يوم. وسبب ذلك هو أنها قامت على أساس مغلوط.

مع ان الأمة لا تنهض الا بالتكتل، فان الملاحظ ان العمل الفردي لا يجدي، ولا يمكن أن يؤدي الى اية نتيجة اطلاقاً. **ولو أراد أحد ان ينهض بالأمة على أساس واضح فسيجد نفسه حتماً يعمل على إيجاد تكتل**، ذلك أنه حين يدعو الناس افراداً او جماعات الى ما يحمل من دعوة، أي الى الأساس الذي يريد ان ينهض الأمة على أساسه، فقد يستجيب له فرد او افراد، فلا بد له من تثقيفهم بالثقافة التي أعدّها، او توضيح الهدف الذي يسعى اليه. ثم إن هؤلاء الافراد حين ينطلقون بما حفظوا، وما آمنوا به، يدعون الناس لفكرتهم وهدفهم، فانهم سيبقون حتماً على اتصال بداعيتهم الاول، يوجّههم بما يراه ويرسم لهم خطة العمل وأساليبه، ويجيبهم على تساؤلات الناس، او تساؤلاتهم هم واستفساراتهم عن بعض الأمور. وفي هذه الحالة سيجد هذا الانسان نفسه يقود كتلة معينة، شاء أم أبى، هذا مع افتراض الاخلاص عند هذا الانسان (وهذا هو الأصل). أما اذا افترضنا غير ذلك من ارتباط او عمالة، فان عمله الفردي لا يؤدي الى نتيجة، ولا يستجيب اليه أحد. وبالتالي فهو عمل فاشل. ولا يعوّل عليه، ولهذا نقول **ان اية عملية تغيير في الأمة لا يمكن لفرد ان يقوم بها بمفرده، بل لا بد من تكتل يقوم على ذلك. فكيف اذا كانت عملية التغيير هذه هي النهوض بالأمة؟؟** إنه لا بد وأن يقوم بهذا الأمر تكتل. فما هو هذا التكتل الصحيح الذي يسبب نهضة الأمة؟؟؟ هذا ما نحتاج الى بيانه.

التكتل الصحيح

مرّ بنا نوعان من التكتلات: جمعي، و حزبي. أما النوع الجمعي فقد بيّنا فساده، ونوجز ذلك بأن النظام الجمعي إنما يقوم على اسس معينة. أي ان تقوم الجمعية بأعمال وأقوال، او بأعمال فقط، او بأقوال فقط.

فالجمعيات التي تقوم على أساس اعمال واقوال، مثل الجمعيات التي تقوم مثلاً ببناء المدارس والمستشفيات، وفي الوقت نفسه تقوم بحملات وعظ وارشاد او تدريس القرآن او غير ذلك من الافعال القولية. وهذا النوع من الجمعيات كثير، حتى من الذين اتخذوا ذلك وسيلة للثراء.

اما الجمعيات التي تقوم على أساس اعمال فقط، فهي الجمعيات التي تقوم على بناء المساجد او المدارس وما شاكل ذلك. ولا تقوم في الوقت نفسه بأعمال قولية.

وهناك الجمعيات التي تقوم على اسس قولية. أي تقوم على الوعظ والارشاد، والافعال القولية، أي تعقد ندوات، وتوزع نشرات او غير ذلك.

ان مثل هذه الجمعيات لا يجوز ان يُشجّع وجودها في الأمة التي تودّ النهوض. وذلك للأسباب التي ذكرناها سابقاً، أي من حيث انها تسبب اليأس عند الأمة نتيجة تكرار الفشل، هذا من جهة، ومن جهة اخرى، فانها تصرف الناس ومن فيهم الحيوية بشكل خاص عن البحث عن التكتل الصحيح.

هذا من حيث الجمعيات، أما من حيث التكتلات التي تقوم على أساس حزبي إسماً، أي التكتلات السياسية كالتي وجدت في العالم الاسلامي منذ الحرب العالمية الاولى حتى الآن. فان هذه التكتلات لا يجوز تشجيعها في المجتمع. فهي لا تقل ضرراً عن التكتل الجمعي. خصوصاً بعد أن سيطرت على عقليتها فكرة الاستعانة بالاجنبي، وأمثالها من الافكار القاتلة. وما خلفته في المجتمع من مفاهيم مغلوطة.

وإنما التكتل الصحيح هو الذي يقوم على أساس حزبي مبدأي اسلامي. شريطة ان يتلافى تلك الاخطاء التي أشرنا اليها والتي كانت سبباً في فشل تلك التكتلات السالفة الذكر. اذن فلا بد ان يقوم هذا الحزب على أساس مبدأي اسلامي كما قلنا، تكون الفكرة فيه هي الروح لجسم الحزب، وهي نواته، وهي سرّ حياته. وتكون خليته الاولى انساناً تتجسد فيه الفكرة، وطريقة من جنسها، حتى يكون انساناً من جنس الفكرة في نقائه وصفائه، ومثل الطريقة في وضوحه واستقامته.

ولما قلنا انه حزب مبدأي اسلامي، تكون الفكرة هي الروح لجسم الحزب، وهي نواته، وسرّ حياته، فالمعروف ان المبدأ هو عقيدة عقلية ينبثق عنها نظام. نظام ينتظم حياة الفرد والمجتمع، ويبين كيفية تنفيذ هذا النظام. أي انه فكرة وطريقة. اذن عقيدة هذا المبدأ وما ينبثق عنها هي الروح لجسم هذا الحزب. فالعقيدة الإسلامية وما ينبثق عنها من معالجات وحملها الى العالم وكيفية المحافظة عليها وكيفية تنفيذ معالجاتها وكيفية حملها للناس، هي الفكرة التي هي سر حياة هذا التكتل. وهذا لا يعني ان نضع أسس هذه العقيدة الستة "الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيرهما وشرهما من الله" فقط، ثم نقول ان العقيدة هي الجامع بين اعضاء التكتل. فالأمة بمجموعها تعتقد هذه العقيدة. وإنها لتجري في عروق ابنائها مجرى الدم، ولم يجر عليها أي تغيير عبر العصور، اللهم الا بعض الغشاوات على بعض افكارها. وقد كانت التكتلات الاخرى كالجمعيات والاحزاب اسماً يعتقد افرادها هذه العقيدة. فلم يُجدِ نفعاً. ولم تصلح لأن تكون رابطة تربط بين اعضاء هذه التكتلات. بل المقصود من الفكرة – أي عقيدة المبدأ – فهم هذه العقيدة، وفهم ما جاءت به هذه العقيدة من معالجات ونظم وأهداف، وتثبيتها كثقافة لهذا التكتل يجري بناء الاعضاء على أساس هذه الثقافة، ويكون صلاحهم للعضوية والمسؤولية بمقدار وعيهم على هذه الثقافة واخلاصهم لها.

وبهذا تكون هي الرابط بين اعضاء التكتل عن ايمان واخلاص. فاذا ما وجدت هذه الثقافة، وما وضّحته من طريقة للوصول الى غايتها وتحقيق هدفها فقد وجدت نواة الحزب، وكانت فعلاً هي روح الحزب، وسر حياته. وهي الجامع الوحيد بين افراده. اذ ان عدم قناعة أي فرد بفكرة أساسية من هذه العقيدة يجعل هذا الفرد بعيدا عن هذا الحزب ولو كان عضوا فيه. وعدم ايمانه بحكم من احكام طريقته يؤدي بالتالي الى ابتعاد هذا الفرد

عن جسم الحزب، ولو كان أحد مسؤوليه. هذا معنى قولنا ان هذه الفكرة وهذه الطريقة هي نواة الحزب وسر حياته..

هذا من حيث الناحية الفكرية المسطحة على الورق. أي من حيث أساس ما يجب ان يكون. اما وجود الخلية الاولى فانما هي انسان من جنس هذه الفكرة في نقائه. أي انه آمن بهذه وحدها، ولم يمتزج فكره بمجموعة من الافكار اختلط فيها الغث والسمين. فكما ان هذه العقيدة لها مصدر واحد فقط هو الوحي، فان هذا الانسان لا بد ان يكون له قاعدة واحدة للتفكير، هي العقيدة وما جاءت به من نصوص ليس غير، وان عقله فقط لعقل هذه العقيدة وفهم نصوصها، ولا يتخذ أي قاعدة او نص غير هذه. هذا ما نعنيه بنقائه، نقاء الفكرة. أي ان الفكرة ليس لها الا مصدراً واحداً هو الوحي، وترفض ان يشترك فيها غير هذا المصدر. وكذلك هذا الانسان لم يتخذ أي مصدر لتفكيره الا هذا المصدر.

وأما القول انه مثل الطريقة في استقامته. فمن المعروف ان الطريقة جاءت بها العقيدة ونفذها رسول الله ﷺ لا تأخذه في الله لومة لائم. فها هو رسول الله ﷺ يجيب عمه وقومه حين جاءوا لمساومته (والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) او كما قال. وها هو ايضا يقول للمتشفعين في المخزومية التي سرقت (والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها). هذا هو الوضوح والاستقامة. تتنـزّل سورة المسد في حق عمه وزوجة عمه تبكيتاً وتقريعاً وتوعّداً ﴿تبت يدا أبي لهب وتبّ﴾الآيات، فيعلنها رسول الله ﷺ ويحفظها الناس ويهرولون بها الى أبي لهب والى سادة قريش. فلم تأخذ رسول الله ﷺ لومة لائم، ولم يأبه لمن يقول له: أهكذا تقول في عمك وزوجة عمك، وهو السيد في قومه، الزعيم في عشيرته؟! نعم لم يأبه لذلك، لأن الطريقة تقتضي الاستقامة والوضوح.

فاذا ما وجد الانسان المتصف بهذه الصفات من النقاء والاستقامة، فقد وجدت الخلية الحية الاولى. ثم لا تلبث هذه الخلية ان تتكاثر – حيث ان من طبيعة الخلايا الحية ان تتكاثر-. وعملية التكاثر هذه ستؤدي حتماً الى ايجاد الحلقة الاولى. وكما ذكرنا سابقا فان أي انسان مخلص حين يبدأ بالدعوة لفكرة ما فسيجد من يستجيب له، وأن من استجاب سيتحرك أيضا في الدعوة، إلا أنه سيبقى مرتبطاً بالمصدر الاول للتشاور معه وأخذ التوجيه منه للسير بهذه الدعوة. وبهذا تكون قيادة الدعوة قد وجدت طبيعيا من هذه الخلايا الاولى. والتي باشرت الدعوة وقيادتها. وبهذا تكون قد نبتت الكتلة الحزبية.

وحين تنبت الكتلة الحزبية تحتاج الى الجامع بين افرادها. أي تحتاج الى الرابطة التي تربط بين افرادها الذين آمنوا بفكرتها وطريقتها. فتكون بذلك العقيدة، عقيدة المبدأ، هي الرابطة الحزبية. وتكون هذه **العقيدة هي المصدر الوحيد الذي تنبثق عنه فلسفة الحزب، أي افكار الحزب الأساسية، والمصدر الوحيد لثقافة الحزب.**

وعودة الى كلمة ثقافة. أحب ان اذكر ان الثقافة الإسلامية أي **ثقافة الحزب انما هي ما جاءت به**

العقيدة من النصوص أي الكتاب والسنة وكذلك ما كانت هذه العقيدة سببا في بحثه وفهمه، وهي اللغة العربية ومجموعة معارفها. ولهذا كان مصدر ثقافة الحزب هو العقيدة الإسلامية ومعارف اللغة العربية ليس غير. فاذا ما وضعت هذه الكتلة الحزبية ثقافتها وجعلتها هي الرابطة بين اعضاء هذه الكتلة وبنت الكتلة على أساس الايمان بهذه الثقافة، ومدى الوعي عليها، والاخلاص لها، حينئذ تكون الكتلة الحزبية قد وجدت، وسارت في معترك الحياة.

وحين تبدأ الكتلة السير في معترك الحياة **تتقلب عليها الاجواء حارة وباردة، وتهب عليها الرياح عاصفة ولينة، وتتناوبها الاجواء صافية وملبدة.** وهذا يعني ان هذه الكتلة تعاني اوضاعاً ثلاث. الحفاظ على ذاتها، وتنمية نفسها، وتنمية المجتمع الذي تعمل فيه، وخصوصا الذين يناصبونها العداء.

اما **الوضع الاول** وهي العمل على تنمية نفسها وزيادة عدد اعضائها، وايجاد أجواء لها ووعي عام على فكرتها. فان عملها هذا تنتابه حالات من القوة والضعف والتردد، فيندفع افرادها بحماس وقوة، الا انهم حين يصطدمون بما في المجتمع من عقبات تصيبهم حسرة، ويسقط في أيديهم، مما يؤدي الى ضعف نشاطهم وفتور همّتهم. فأجواؤهم حارة تارة وباردة اخرى.

وأما تصدّي خصومهم لهم من السلطة او من حملة الافكار الاخرى، فهي متقلبة كذلك. فتقوم السلطة باعتقالهم تارة وبالافراج عنهم تارة اخرى، تحاربهم في أرزاقهم وتمنعهم من الوظائف وتحول دون نشاطهم تارة، وتارة تغض النظر عنهم لظرف ما، او لمحاولة معرفة المزيد عنهم. وكذلك حملة الافكار الاخرى فلا يفتأون يطرحون الدعايات المغرضة، والافتراءات الكاذبة، والاقاويل الباطلة عن هذه الكتلة وشبابها. فتارة يحاربونها بالاهمال وتجاهل وجودها ومنع وسائل الاعلام من الحديث عنها لا مدحا ولا قدحا. وتارة يقومون بنشر الاكاذيب المفضوحة دون خجل. فقد بلغ الحال بإحدى الجهات الإسلامية أن ألّف أحد أفرادها كتابا يقول فيه ان هذا الحزب يرى ان الصلاة في هذه المرحلة ليست واجبة. ويقول في كتابه ان هذا الحزب يقول في كتابه "نظام الاسلام " في الصفحة 17 في السطر العاشر ما (نصه " ان الصلاة في هذه المرحلة ليست واجبة لقوله تعالى ﴿الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة﴾) وما دمنا لم نمكن في الارض فالصلاة ليست واجبة"، انتهى كلام ذلك المؤلف. والذي ساعده على انتشار فِرْيته عدم وجود او توفر كتاب "نظام الاسلام " في المكتبات، لانه ممنوع من التداول. هذا نموذج من الرياح التي كانت تهب على هذه الكتلة، عاصفة حيناً وليّنة أحيانا.

واما المجتمع الذي تعمل فيه هذه الكتلة، فانها بتصديها لما فيه من مفاسد، وما يقوم فيه من نظم، وما يهيمن

عليه من رأي عام، وما يكتنفه من لا مبالاة، كان هذا المجتمع يتقبل مرة ويصدّ عنها مرات. خصوصاً حين تهاجم ما يهيمن عليه من رأي عام كالقومية، والناصرية، والاشتراكية **في حينه**. فانه يضع أصابعه في أذنيه، ويتغشى ثوبه، ويصد ويستكبر استكبارا. اما حين تطرح افكارا وآراء تستغربها الامة وتراها بعيدة عن الواقع، ثم لا تلبث ان تتبين حقيقة هذه الافكار والآراء ومطابقتها للواقع، فانها تعيد النظر في موقفها من هذه الكتلة، ولكنها عودة مترددة.

هذه هي الاوضاع الثلاث التي تجابه هذه الكتلة حين سيرها في معترك الحياة، فاذا ثبتت لهذه العوامل فانها تكون قد اجتازت خط الدفاع الاول لأفكار الكفر وحصلت على النتيجة الاتية:

1- **تبلور فكرتها**: فالاصطدام بالافكار الاخرى ومناقشتها وبيان فسادها، يؤدي حتما الى تجسيد هذه الفكرة وبلورتها. أي انتقالها من حالة الميوعة الى حالة التجسيد، أي انتقالها من افكار خالية خيالية الى رؤية الواقع وانطباقها عليه. فالفرد حين كان يتثقف بهذه الثقافة على الورق كان يصعب عليه تلمُّس واقعها، ومحاولة تجسيده، اما بعد اصطدامه بالافكار الاخرى فقد ادرك صدق افكاره وانها افكار تنطبق على واقعها. فمثلاً حين كان يقرأ عن المبادئ الاخرى وفساد عقيدتها وبطلان افكارها،لم يكن يتصور ان افكاره تستطيع ان تهزم تلك الافكار. ولما خاض معها تلك المناقشات وجد تلك الافكار أوهى من بيت العنكبوت، وثبت لديه ان فكرته هي الحق.

2- **وضوح طريقتها**: ان هذه المناقشات الحادة للافكار والمعتقدات الاخرى جعلت الشاب يحاول تطبيق ما يقوم به مع سيرة سيد المرسلين، فيجد انه يقتدي بخطواته خطوة خطوة وان ما يجده هو عين ما وجده المصطفى ﷺ. وهذا ما وضّح له الفرق بين المرحلة المكية والمرحلة المدنية، وبين له الفرق بين ما هو وسيلة او اسلوب وبين الطريقة الواضحة الثابتة. وميز له بين حكمٍ لمعالجة من المعالجات وحكمٍ لتنفيذ حكم لمعالجة من المعالجات. ففرّق بين احكام حفظ النسل مثلاً والاحكام المبينة لكيفية تنفيذ احكام حفظ النسل، الى غير ذلك من احكام الطريقة المبينة لكيفية تنفيذ احكام الفكرة. أي ادرك ان الاسلام له كيفية معينة في تنفيذ احكامه، فهو ليس مجموعة من الوصايا يقوم الفرد ايماناً منه بتنفيذها. وادرك ان الدولة هي الحكم الأساسي من احكام الطريقة، المنفذة للاحكام.

3- **أعدّت أشخاصها**: حين وجد حامل الدعوة نفسه وحيدا الا من اخوة له في هذه الدعوة، فقد ناصبه العداءَ أقربُ المقربين اليه حتى والديه وأهل بيته، ومع ذلك لم تأخذه في الله لومة لائم، وفهم معنى وجوده

في الحياة، وعرف انه انما يعيش من اجل الاسلام(. كان صادقا في قوله ﴿قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين﴾ . ومن كان هذا حاله فانه يكون) قد أعدَّ إعدادا حقيقيا يؤهله لقيادة الامة والأخذ بيدها في طريق النهوض. وكان حرياً بمن هذا حاله ان يضطلع بأعباء الدعوة والسير بها في سبيل تحقيق غايتها.

4- قوَّت رابطتها: ان هذه الكتلة الواعية، والكتلة العاملة، حين تجد نفسها وحيدة في الميدان ولا معين لها الا افرادها العاملين، وحين تجد ان الامة التي تعتقد عقيدتها، وحين تجد الكثير من الفئات التي تدعو للاسلام كذلك تعتقد ما تعتقده هذه الكتلة، ومع ذلك تناصب هذه الكتلة العداء وتجاهرها بالمقاطعة، تدرك هذه الكتلة حينها أن الرابطة الحقيقية التي تربط بينها هي الثقافة الحزبية. فلا رابطة قومية ولا رابطة مصلحية، ولا حتى بين المرء وأهله، ولا العقيدة مجردةً عما ينبثق عنها من مفاهيم. بل الرابطة الحقيقية هي العقيدة بما انبثق عنها من مفاهيم حسب فهم معين ليس غير.

وأحب ان ألفت النظر لتثبيت هذه الحقيقة في النفس، الى أنه من الصعب ادراك كيف ان العقيدة وحدها ليست كافية للربط بين اعضاء التكتل الواحد. بل لا بد من العقيدة بكافة ما ينبثق عنها من احكام وما بني عليها من افكار تكون بمجموعها ثقافة الحزب حتى تكون رابطة. فكلنا يعرف الائمة الاربعة، ابو حنيفة والشافعي ومالك وابن حنبل، وكلنا يعرف انهم مؤمنون مخلصون، وانهم يعتقدون العقيدة الإسلامية بايمان يقيني صادق. ومع ذلك لم تجعل هذه العقيدة منهم كتلة واحدةً ، ولا جعلت من المقلّدين لهم كتلة واحدة. فلو كانت مدارسهم ومقلدوهم كتلة سياسية، لكانت كتلاً متعددة، ولبرز الصراع عنيفا بينهم. وحتى مع كونهم مدارس فقهية، فقد حصلت صراعات حادة في بعض الاحيان بين هذه المذاهب.

وكذلك، فقد حصل ويحصل وسيحصل بين الفئات الإسلامية صراعاتٌ فكرية لاختلافها في الرأي في جملة مسائل. وهذا هو الامر الطبيعي. فالرابطة الفكرية لا بد ان يتوفر فيها رابطة واحدة، وهدف واحد، وافكار واحكام واحدة مما يتعلق بالجامع بينهم، وبالهدف الذي وضعوه لأنفسهم، وبالاحكام التي تبين كيفية سيرها، والطريقة التي ينتهجونها، حتى تكون رابطة تجمع بين اعضاء هذا التكتل او ذاك، جمعاً حقيقياً يتقدم على أية رابطة اخرى، مثل القومية او الوطنية او العصبية وتتقدم حتى على الرابطة بين المرء ووالديه، وبين المرء وزوجه.

هذا هو التكتل الصحيح، الذي يعمل للنهضة الصحيحة. وهو التكتل الذي تكون نواته الفكرة، وثقافته هي الرابطة، وهو الذي يستطيع ان ينتقل من كتلة حزبية الى حزب مبدئي متكامل ويستطيع ان يضطلع بأعباء المسؤولية، ويخطو نحو غايته بخطى ثابتة. لأنه هاضم لفكرته، مبصر لطريقته، مؤمن بهدفه، لا يثنيه عن

الوصول اليه شيء، ولا يلهيه عنه التعامل مع جزئيات الامور، وتعقيدات الحياة، والصخور التي ثلقى في طريقه لإعاقته عن تحقيق غايته وهدفه.

نشأة هذا التكتل الحزبي المبدئي في الأمة

أما كيف ينشأ هذا التكتل في الأمة التي تريد النهوض، نشوءا طبيعياً. فهاك البيان:

الأمة جزء واحدٌ لا يتجزأ، وهي في تكوينها الكلي كالإنسان. وبالرغم من القائلين بتكون المجتمع من أفراد، ومن محاولة تركيز مبدأ الفردية المأخوذ من النظام الرأسمالي في نفوس الناس، وتأثر الكثيرين به، إلا أن المكونات الأساسية للأمة تبقى هي الأساس في تكوين الأمة. فعقيدتها وما ينبثق عنها من مشاعر، وما يتكون على أساسهما من عرف عام، هي الأساس في تكوين الأمة. فما دامت الأمة تحمل عقيدة معينة، وينبثق عن هذه العقيدة أفكار وأحكام أساسية تنتظم حياتها، وما دام لهذه العقيدة أثر على مشاعر الناس، وما دام لهذه العقيدة أثر على طريقة التفكير عندها - أي عند الأمة - فإنها تبقى أمة، مهما لحقها من أمراض، ومهما اعتراها من هزال. وتبقى كأنها إنسان يعيش في الحياة.

فالحياة في الإنسان، هي العقيدة في الأمة. والإنسان مهما أصاب أعضاءه من مرض، أو لحقه من شلل، وبقيت فيه الحياة (أي الروح) يبقى إنساناً حياً يمكن معالجته. وكذلك الأمة، مهما اعترى بنيها من خور، ومهما أصابهم من وهن، ومهما طغى عليهم من فساد، تبقى الأمة حية ما بقيت فيها عقيدتها. ولو أنها أمست منحطة. إلا أن إمكانية معالجتها بقيت قائمة.

والإنسان المريض الذي أشرف على الهلاك، ثم تماثل للشفاء فإن الحياة تدب في عروقه وجميع أوصاله، لأنه كائن حي. كذلك الأمة حين تدب فيها الحياة والحيوية فإنها تدب فيها جميعا بوصفها مجموعة إنسانية واحدة باعتبارها كلاً. والحياة للأمة هي الفكرة التي تصحبها طريقة من جنسها، لتنفذ بها، فيتكون من مجموعهما ما يسمى المبدأ. إذن، لا يكفي وجود العقيدة الروحية في الأمة لنهضتها، ولا يكفي وجود العقيدة منفصلة عن طريقتها التي تنفذ بها كي توجد النهضة في الأمة.

أمتنا تحمل العقيدة الروحية بشكل جيد، والايمان بان الاسلام يعالج كافة مشاكل الحياة، من سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية وثقافية، موجود في الأمة كذلك. الا ان طريقة تنفيذ هذه المعالجات لم تصحب هذا الايمان. بل لم يدرك لذلك طريقة. ولذلك لم يؤثر كل ذلك على وجود الحياة في الأمة، ولا حتى الحيوية في كثير من الأحيان.

إذن فوجود المبدأ في الأمة ليس كافيا لبحث الحياة فيها، وإنما الذي يبعث الحياة فيها هو اهتداؤها لهذا المبدأ ووضعه موضع التنفيذ. فالأمة بمجموعها، صغيرها وكبيرها يتغنى بوجود المبدأ الاسلامي عنده، وان الاسلام فيه كل معالجات الحياة، وانه لو طبق لأضفى على العالم كله السعادة الكاملة، الى غير ذلك من التمنيات و الأماني. وليس هناك الا النـزر اليسير من مثقفي الأمة والمضبوعين بالثقافة الغربية ممن يرون ان الاسلام عاجز عن مجاراة العصر وحل مشاكل الأمة. وقد عمد الكثير منهم الى محاولة التوفيق بين الاسلام وغيره، او محاولة تأويل النصوص الشرعية حتى تجاري العصر، وتوافق الافكار الغربية. ومع كل ذلك نقول انها لم تتحسس طريق النهضة، ولم يؤد وجود هذه المفاهيم فيها الى وجود الحياة فيها. لأنها لم تضع هذا المبدأ موضع التنفيذ، مع وجوده كنصوص مقدسة بين يديها فلا هي اهتدت لفكرته، و لا أدركت طريقته، ولا عرفت وجوب ربط فكرته بطريقته. وبالتالي فان وجود هذا المبدأ العظيم بفكرته وطريقته في الأمة وفي تاريخها وفي تراثها التشريعي، وتغنيها بماضيها العريق، وأنها كانت سيدة الدنيا، كل ذلك لم يؤد الى وجود الحياة فيها.

ان المضبوع لا يصحو حتى يرى دمه يسيل. والمضبوع هو المأخوذ من حيوان اسمه الضبع. وهذا الحيوان حين يلتقي انساناً ويحاول افتراسه، فانه يلجأ الى أساليب ورائحة كريهة تخرج منه بحيث يفقد هذا الانسان السيطرة على أعصابه فيتبع الضبع الى حيث يريد، وهو يصرخ انتظرني يا أبي، والضبع يسير أمامه حتى يصل به الى مكان افتراسه. فلا يصحو هذا المضبوع من اتباع الضبع حتى يرتطم بحجر فيسيل دمه، او يضربه شخص ما يريد إنقاذه فيسيل دمه. والا بقي متبعاً الضبع الى وكره ومكان افتراسه.
ومن فقد وعيه لسبب من الاسباب لا يصحو بسهولة، بل لا بد من سكب الماء عليه، او وضع النشادر في أنفه، او أية مادة فاعلة تعيد عمل الأعصاب الطبيعي. واما الامة المنحطة، التي فقدت وعيها، وراحت تغط في نوم عميق، فانها تحتاج الى ما يعيد اليها صوابها، ويعيد الحيوية الى أوصالها. تحتاج الى ما يُسيل دمها، ويوقظ أعصابها النائمة الغافلة. وغالبا ما تكون الهزات العنيفة التي تصيب مجموع الناس من أفضل المنبهات. من حيث ان هذه الهزات ينتج عنها إحساس مشترك. وهذا الاحساس الجماعي بهذه الصدمات يؤدي الى حوار ومناقشات بين الناس، من حيث اسباب هذه الهزات، وما الذي سببها وكيفية تلافي مثيلاتها، الى غير ذلك من المناقشات، سواء بين المثقفين والسياسيين او بين عامة الناس. فالاحساس مشترك، ولو انه يتفاوت قوة وضعفا. ومن هذه المناقشات الحادة، وبتوالي المصائب، وتتابع البلوى، يستمر البحث بين الناس، مما يؤدي الى عملية فكرية. ينتج عنها قضايا من جراء البحث في أسباب ومسببات هذه المصائب. فمن الناس من يتناولها بمنتهى السطحية والبساطة، فيقول: أننا نستحق ذلك لأننا لم نلتزم بما أمرنا الله. ومنا من يقول: تلك مشيئة الله. وذاك يصرخ: عودوا الى ربكم. وآخرون يحاولون ربط واقعهم بما حصل لهم، ويبحثون في كيفية معالجة هذه الامور معالجة تنقذهم مما هم فيه. ومن البديهي ان يحاول كل منهم اقامة الدليل على صحة ما ذهب اليه، ويبرهن على صدق النتيجة التي توصل اليها. وبهذه الكيفية من المناقشات والحوار، ومن ربط الواقع المحسوس بأسبابه ومسبباته ينتج الفكر الصحيح. من حيث ان القضايا الحسية

المبرهن عليها بالادلة والبراهين يتولد عنها نتائج صحيحة. هذا هو المنطق السليم. قضايا حسية صحيحة كبرى، وقضايا حسية صغرى، ونتيجة حسية. واصطحاب هذه العملية المنطقية هو الذي ينتج الفكر الصحيح. ويبقى هذا الفكر مرتبطا بأدلته وبراهينه. ودوام هذا الاتصال، والترابط بين القضايا، يؤدي حتماً الى بحث ماضي الامة وما كانت عليه، والحالة التي هي فيها، والمستقبل الذي تسير إليه إن بقيت على هذا الحال. ومن البديهي ان يدفع هذا البحث الى بحث علاقة الامة بغيرها من الامم والشعوب وتاريخها والوقائع والاحداث التي أثرت في مسير حياة الامم ، وأسباب نهوض كل أمة منها، الى ما يصحب ذلك من مقارنات ومداخلات تؤدي بالتالي الى اهتداء العقل للمبدأ بفكرته وطريقته، فيؤمن به، بعد أن تبرهن القضايا المنطقية على صحته وانتاجه. وحين نقول القضايا الحسّية فاننا نعني بها القضايا التي دل الدليل العقلي المبني على الحس على صدقها، أي كل قضية أقيم الدليل الحسي والبرهان العقلي على أنها صحيحه صادقة. هذا ما تؤدي اليه غالباً الهزات العنيفة والصدمات القوية في الامم النائمة. الا انه قد يقوم أعداء هذه الامة بتضليلها، وإلهائها بالاعمال المرتجلة التي تبعدها عن وقفة التفكير تلك. فتنتقل من الاحساس الى العمل دون تفكير. فاذا ما استمر ذلك، فقد يؤدي الى حالة من اليأس تؤدي بالأمة الى الاستسلام واليأس. ويكون ذلك مما يؤخر عملية الاهتداء الى المبدأ فترة أطول. الا ان الامر الطبيعي ان تؤدي تلك الهزات الى ما ذكرنا.

ويكون الاهتداء للمبدأ جماعياً في الجماعة، لان الاحساس المشترك فيها أدى الى البحث بين كل فئاتها، وبالتالي، ونتيجة للحوار والمناقشات، واستعمال منطق العقل، يؤدي حتماً الى الاهتداء الى المبدأ بشكل جماعي. لأن الذي أدى للاهتداء اليه هو الاحساس الجماعي الذي وجد في الامة نتيجة للهزات.

نعم ان الاحساس يتفاوت بين شخص وآخر، والمؤثرات في الاحساس تتفاوت كذلك من حيث القوة والضعف لا من حيث النوعية. فحين نحس بالظلم، او المصيبة، او الهزيمة، فان الاحساس المتولد عن هذا الواقع واحدٌ من حيث نوعيته، فهو إحساس بالظلم او الهزيمة. ولكن تفاوته إنما يكون من حيث القوة والضعف، وذلك بحسب ما هيأهم الله له، وما اختصهم به من استعدادات ممتازة. ولذلك يظل اهتداء الأمة الى الفكرة كامناً فيها، الى أن يتجمع تأثير ذلك الاحساس فيمن نالوا قدراً أعلى من الاحساس، فيوقظهم ويلهمهم، ويبعث فيهم الحركة، أي زيادة مناقشة القضايا - كما أسلفنا - والبحث لمعرفة أسباب تلك المصائب، والطرق المؤدية للخلاص. فتظهر على هذه الفئة أعراض الحياة قبل غيرها.
ان هذه الفئة التي نالت قدراً أعلى من الاحساس هم المرآة التي تنعكس عليها إحساسات الجماعة. لأنه كما قلنا فإن المصيبة الباعثة على التفكير إنما كانت شاملة للجميع. وكون هذه الفئة التي تتمتع بحس مرهف كان أثر تلك المصيبة عليها أكبر، فإن ذلك دفعها الى البحث والتنقيب حتى توصلت للفكرة، وتمركزت فيها. فدفعتها الى التحرك، ولكن عن وعي وإدراك. فكانت هذه الفئة هي العرق النابض بالحياة، والقلة الواعية في الأمة. وهم عيون الأمة التي تراقب وتلاحظ ما يحصل في المجتمع من أحداث وما يجري فيه من تغير.
ووجود هذه الفئة الواعية في الأمة أمر طبيعي. واندفاعها للعمل أمر طبيعي. وكثيراً ما وقعت هذه الفئة

الواعية في مطبات الانتقال من الاحساس الى العمل مباشرة مما أدى الى اجهاض ثورتها وإفراغ مخزون حماسها. ولذلك نقول ان هذه القلة الواعية تكون حائرة قلقة. حيث انها تبصر أمامها دروباً متعددة، فتحتار أي الطرق تسلك. منهم كما قلنا من ينتقل من الاحساس الى العمل. ومنهم من يختار طريقاً لا يتناسب مع الفكرة التي توصل اليها، فاختار مثلاً الوعظ والارشاد. ومنهم من حمل السلاح مع الوعظ والارشاد. ومنهم من رأى بناء شخصية الفرد، الى غير ذلك من اختلاف في اختيار الدرب. وذلك نظراً للتفاوت في نسبة الوعي الموجود فيها. وبناءاً على ذلك يكون **منطق الاحساس** أي الفكر الناشئ عن إحساس صادق أقوى في بعضها من البعض الآخر. وهي الفئة التي لا تقف عند حدّ المظاهر في حكمها على الأشياء، بل التي بالاضافة الى معرفتها أسباب الانحطاط في الأمة، والبلوى التي تحيط بها، ومعرفة الفكرة التي يعالَج بها هذا الواقع، لم تقف عند هذا الحد لترتجل طريقة من الطرق، أو درباً من الدروب، لأنها اعتادت أن يكون الفكر الناشيء عن إحساس "منطق الإحساس" منهجاً لتفكيرها. فتنكبّ على دراسة الطرق جميعها لتهتدي الى الطريق الصحيح الذي تضمنته الفكرة نفسها. وهي معرفة الهدف والغاية أولاً. ثم معرفة الطريق الموصل الى هذه الغاية مما تضمنته الفكرة نفسها. فتحدد غايتها، وتعرف هدفها، وتبصر الطريق الموصل اليه بوضوح كامل. وبذلك تكون قد اهتدت الى المبدأ بفكرته وطريقته. فتعتقده عقيدة راسخة لأنها مبنية على براهينها، وموافقة لما فطر عليه الانسان. وباعتقادها هذا يكون المبدأ قد تجسّد فيها او كان عقيدة لها. فتكون هذه العقيدة مع ما يبنى عليها من أفكار وما ينبثق عنها من مفاهيم "حسب فهم هذه المجموعة"، أي ثقافة الحزب، هي الرابط بين أشخاص هذه الفئة. إذن **فالرابطة الحزبية** هي العقيدة العقلية أي المبدأ والثقافة الحزبية. ونعني بالثقافة الحزبية (مجموعة الافكار التي تبنّاها الحزب - حسب فهمه – مبنية على العقيدة ومجموعة المفاهيم والأحكام التي انبثقت عن هذه العقيدة ومجموعة المعارف والمقاييس التي آمن بها وتبنّاها). هذه هي الرابطة الحزبية وليس فقط العقيدة، وهي بمجموعها على اساسها تتكون عقلية الأعضاء، وتنصقل على أساسها نفسياتهم، وهي معيار إنتمائهم لهذا الحزب.

إن الانسان إنما يسيّره مفاهيمه عن الحياة. وبمقدار ايمانه بفكرة ما يكون اندفاعه فيها. فاذا وصلت الفكرة الى حد القناعة المطلقة، بل وصلت الى حد انعقاد القلب عليها، فمن البديهي أن تكون هي الموجِّه له في سلوكه. وحين يقنع القناعة المطلقة والتصديق الجازم بوجوب حمل فكرة ما، فان المشاعر المنبثقة عن هذا الايمان تدفعه دفعاً للقيام بما يجب عليه. وحين نقول ان المبدأ قد تجسّد في شخص ما، فان ذلك يعني أن ذلك الشخص قد أصبح مبدأ يمشي على الارض. أي ان هذا الشخص أصبح منقاداً بكليته (فكره وشعوره) لهذا المبدأ. وهذا يعني أن المبدأ لا يطيق أن يبقى حبيساً، أي أقل ما يقال فيه أنه يُرى مجسّداً في هذا الشخص. ناهيك عن وجود مفاهيم في هذا المبدأ توجب على مَن تجسّد فيه حملها للناس. فمن جهة سلوكهم الطبيعي إنما يكون بحسب مفاهيم المبدأ وأحكامه، مسيَّرةً حسب منهجه. وأما ما جاء فيه من حيث تحديد الهدف والغاية، فإن من يتجسد فيه المبدأ يرى أن وجوده في الحياة هو من أجل المبدأ، وأن غايته في هذه الحياة إنما هي من أجل تحقيق غاية المبدأ (والهدف الذي بيّنه. فهو كما نقول في تلاوتنا ﴿قل إن صلاتي ونسكي

ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين﴾ .)

وحين نقول انه أصبح وجوده من أجل المبدأ، وعرف معنى وجوده في الحياة، فإنما يعني ذلك:

أ) أولا الالتزام سلوكيا باحكام هذا المبدأ، والتقيد بما أمر به او نـها عنه،

ب) ثانيا العمل على نشره في الناس، بالدعوة اليه وحده، وايجاد الوعي العام عليه.

وحين يتجسد المبدأ في هذه الفئة الاولى التي اهتدت اليه، لا تلبث الحلقة الاولى ان تتحول الى كتلة حزبية. ثم تتحول الكتلة الحزبية الى حزب مبدئي متكامل. فيأخذ في النمو الطبيعي في ناحيتين:

الاولى التكاثر في خلاياه، بايجاد خلايا جديدة تعتنق المبدأ وتؤمن به عن و عي وادراك تامين بحيث يعمل على تجسيد المبدأ فيها كذلك، تماما كما تجسد في الفئة الاولى دون تمييز.

واما الناحية الثانية فهي بايجاد الوعي العام عليه عند الأمة كلها. وكنتيجة طبيعية لايجاد الوعي العام عند الأمة على هذا المبدأ، تتوحد الآراء والافكار والمعتقدات، توحداً جماعياً إن لم يكن إجماعياً. وبذلك يتوحد هدف الأمة وتتوحد عقيدتها ووجهة نظرها في الحياة.

وحين نقول تتوحد الأفكار فإنما نعني الأفكار العامة المتعلقة بمعالجة المشاكل التي تكتنف الأمة في حياتها الخاصة. كالقول بأن الدولة الاسلامية هي الخلافة، فمن هو الخليفة، وما هي صلاحياته، ومن الذي يعيّنه، ومتى يُعزل.

وما هو النظام الاقتصادي، أو كيف تعالج الأمة مشاكلها الاقتصادية او الاجتماعية او السياسية، ومثل ذلك.

وأما حين نقول تتوحد الآراء، فذلك فيما يتعلق بنظرة المسلمين الى غيرهم وعلاقتهم مع هذا الغير. مثل توضيح أحكام الذمّي والنظرة اليه.

وأما توحيد المعتقدات، فقد تسرب الى الأمة بعض الافكار العقيدية المتأثرة بالفلسفة الهندية او اليونانية، كالصوفية والكلامية وغيرهما. **ومما يقطع الطرق على مثل هذه الافكار ايجاد القاعدة الثابتة عند الأمة** بأن العقيدة لا تؤخذ الا عن يقين، وأن خبر الآحاد يفيد الظن ولا يفيد اليقين.

وكايجاد القاعدة المتعلقة بالاعمال والقائلة بأن الشريعة هي من عند الله، وأن أفعال الانسان مقيدة بالحكم الشرعي، ولا مجال للعقل في التشريع، بل مهمة العقل هي فقط فهم النصوص الشرعية، واستنباط الأحكام منها. فيكون مصدر التشريع هو الوحي فقط. هذا ما نعنيه بتوحيد الأفكار والآراء والمعتقدات. وأبرز ما يؤدي اليه ذلك هو وحدة الهدف عند الأمة، وذلك بايجاد الخلافة القوّامة على التطبيق والتنفيذ. حتى يتم تحقيق الغاية التي هي استئناف الاسلامية وحمل الاسلام للعالم.

واذا ما قام الحزب بهذا الدور من توحيد الافكار والآراء والمعتقدات، فانه يكون قد اصبح بوتقة تصهر الأمة.

والبوتقة هي الوعاء الذي تصهر فيه المعادن، وتتنقى مما علق بها من أوساخ او رمال او معادن اخرى.

وصهر الأمة في بوتقة الحزب وتوحيد الافكار والآراء والمعتقدات فيها إنما يؤدي الى استبعاد الافكار الدخيلة والآراء الضعيفة والمعتقدات الباطلة التي أدت الى انحطاط الأمة. مثل فصل الطاقة العربية عن الطاقة

الاسلامية الذي أدى الى ضعف فهم الاسلام في النفوس، وتطبيق بعض الأحكام الخاطئة التي أدت الى كثير من الفتن والمصائب مثل ولاية العهد في نظام الحكم، او الافكار التي وجدت بعد انحطاط الأمة مثل نظرية التعايش بين الأديان "الدين لله والوطن للجميع"، وأمثال هذه الأفكار الكثير. **فالعملية الصهرية تعني إبعاد هذه الافكار الفاسدة، وتوحيد الهدف والغاية، وبعث قواعد التفكير** وغير ذلك.

والذي يتولى هذه العملية هو الحزب. وهي التي تسبب النهضة في الأمة. وذلك بايجاد قاعدة معينة للتفكير للوصول الى أرقى الافكار – أي النهضة -. وهي عملية شاقة لا يقدر عليها الا الحزب. لأن الحزب يعيش بفكرتها، بل إن الفكرة هي حياته، أو لأن حياته وقف على هذه الفكرة، وهو يدرك كل خطوة من خطواته.

قلنا ان الإحساس العام الذي كان يكتنف الأمة عند تعرضها للمصائب والهزات، قد أوجد عمليات فكرية عند الأمة. وأوجد قضايا يبحث فيها عن الأسباب والمسببات. وظهر نتيجة لذلك ثلة واعية توصلت بمنطق الإحساس الى مجموعة من الأفكار – او اختلفت في طرق متعددة ودروب مختلفة. وكان من بين هذه الافكار التي أشرقت في الأمة فكر الحزب الناشيء عن إحساسه. فكان هذا الفكر واحداً من مجموعة افكار متعددة. كان واحداً منها، ولكنه كان أضعفها، لأنه أحدثها ولادةً، وأجدّ وجوداً، ولم يتمركز بعد، ولم توجد له أجواء. لكنه نشأ عن منطق الإحساس، أي أن فهمه ناتج عن الادراك الحسي، الذي يوجد الاحساس الفكري، أي يوجد إحساساً واضحاً نتيجة للفكر العميق. والادراك الحسي إنما ينشأ حين نفكر في واقع محسوس، ونربط هذا الواقع المحسوس بمعلومات سابقة محسوسة مقطوع بصحّتها، ونخلص الى نتيجة حسية، فتكون هذه النتيجة فكراً صحيحاً صادقاً. أي ان ذلك يسير حسب قواعد المنطق. حيث نضع مقدمة صغرى حسية صحيحة، ومقدمة كبرى صحيحة، ونستنتج من ذلك نتيجة حسية، فتكون هذه النتيجة صحيحة اذا أمن الإنزلاق في متاهة. والطريق العقلي المنطقي طريق جيد للوصول الى أرقى الافكار اذا اقتصر البحث به على القضايا الحسية.

وفكر الحزب إنما جاء نتيجة التفكير الحسي، أي البحث في القضايا المحسوسة. فكان فهماً ناشئاً عن الادراك الحسي، لا الوهمي ولا الخيالي، ولا الإفتراضي. وفكر هذا حاله، حريٌّ به أن يتركز في النفس وأن يؤمن به الانسان. ونتيجة لهذا الايمان والتركز فانه يحرك في النفس الأحاسيس الصادقة الناشئة عن مشاهدة الواقع بناءاً على ما في النفس من ايمان، أي ما في النفس من فكر عميق. مثال (لو التقى شخص فتاةً لا يعرفها فأعجبه شكلها، وأعجبه حديثها، فرغبت نفسه بالزواج منها، ففاتحها بالأمر، فقبلت. فكانت مشاعره وأحاسيسه تجاهها باعتبار أنها زوجة المستقبل، ونظرته اليها أنها زوجة المستقبل. وهي كذلك. ولكن عند مفاتحة الأهل تبيّن أنها أخته في الرضاع. فماذا تصبح مشاعره وأحاسيسه الآن. بدلاً من النظرة اليها على أنها زوجة المستقبل، صارت النظرة الآن أنها الأخت التي عليه حمايتها. فتغيرت أحاسيسه تجاهها بتغير فكرته عنها. وكذلك تتغير أحاسيسه في اتجاه ثالث مغاير لهذا فيما لو عرف منها أنها شيوعية او درزية او علوية). فالأحاسيس الفكرية هي الأحاسيس التي تنطلق من أفكار عميقة مركزة في النفس. ولما كان فكر

الحزب ناشئاً عن إحساس فإن فكره يكون عميقاً ناتجاً عن الادراك الحسي. ونتيجة لعمق ذلك الفكر، فان الأحاسيس التي توجد عنده إنما يكون مصدرها ذلك الفكر العميق الذي آمن به. ومن تمتع بمثل هذا النوع من الادراك العميق، وهذا الإحساس الصادق، من البديهي ان ينطبع به، فيجعله مخلصاً. ولو أراد أن لا يكون مخلصاً فإنه لا يقدر على ذلك، لأن ذلك الادراك وهذا الاحساس يكون قد ملك عليه نفسه وسيّره في الوجهة التي يحتّمها هذا الفكر والاحساس.

وحين يتجسد هذا الفكر في المخلص عقيدةً وثقافة فإنه يحدث في نفسه ثورة جامحة. وليست هذه الثورة سوى انفجار بعد احتراق في الشعور والفكر. والتقاء الفكر والشعور على نقطة معينة إنما يدفع من يحمله دفعاً الى الإقدام والتضحية بكل شيء. فالمشاعر والاحاسيس من أقوى الدوافع للعمل عند الانسان. وحين تتضافر مع هذه الأحاسيس الأفكارُ الموجبة للعمل، فانه لا يبقى أي تردد في النفس يدفعها الى التقاعس او الإحجام، بل يشيع في النفس التلهب والحماس والصدق. ومن البديهي أن يؤدي ذلك الى المنطق والفكر، فيكون ناراً تحرق الفساد، ونوراً يضيء طريق الصلاح.

ونتيجة لذلك فان الدعوة لا بد لها أن تدخل في صراع فكري حادّ مع الافكار الفاسدة، والعقائد المتداعية، والعادات البالية، فتحاول هذه أن تدافع عن نفسها. وبهذا يحصل الاحتكاك بالمبدأ الجديد، وهذا ما يزيد في قوته، ويبلور فكرته في نفوس حملة الدعوة، وينمّي عقلياتهم، ويصقل نفسياتهم. وما هي الا فترة صراع قصيرة حتى تتداعى الافكار والعقائد والطرق، ويبقى مبدأ الحزب وحده في الأمة هو وحده فكرها وهو عقيدتها. هذا لو كانت الاوضاع طبيعية، وترك باب الصراع مفتوحاً. الا ان وعي الكفار على ذلك جعلهم يلجأون الى أخبث الأساليب في التصدي للدعوة، **كالإهمال والتجاهل، ومنع وسائل الإعلام من الكتابة او الإعلان عن أي أمر يتعلق بالحزب بالمدح او القدح، ومحاربة حملة الدعوة في أرزاقهم، وأجسادهم، ونشر الدعايات الخبيثة ضدهم، ومحاولة حرف الحزب عن خط سيره، وإبعاده عن الطريق التي تبناها.** ما جعل الفترة الزمنية تطول أكثر مما كان متوقعاً.

ومتى وحّد الحزب الافكار والمعتقدات والآراء، فانه يكون قد صنع الأمة على عين بصيرة، وصهرها ونقاها. فكانت أمة واحدة، ووجدت الوحدة الصحيحة. فالعبرة في وحدة الافكار العامة التي تتعلق بتنظيم حياة المسلمين. وهذا لا يتأتى الا بقيام دولة الخلافة بتبنيها افكاراً وأحكاماً محددة تنظم بها حياة الناس. أما وحدة المعتقدات، فمن فضله تعالى أن الأسس في العقيدة لم يلحقها ضلال او بُعد، ولو أنه أصاب بعض فرعيات افكارها غشاوات او سوء فهم، سرعان ما يزول بتثبيت فكرة واحدة في الأمة وهي ان العقائد لا تؤخذ الا عن

يقين. فبهذه الفكرة وحدها نستطيع إبعاد كل ما لحق بافكار العقيدة من خزعبلات او ترّهات، او تأثر بالفلسفة الهندية او اليونانية او الرأسمالية او غير ذلك. وأما وحدة الآراء، فان الأمة الاسلامية بمجموعها ترى أنها أمة من دون الناس، ومن سواها الكفار. وأنها بمجموعها تميز في علاقاتها مع الكفار في كثير من الأحكام. فهي تميز بين الكتابي وغير الكتابي مثلاً في قضايا اللحوم والزواج وغير ذلك.

وبناءا على هذا النجاح في وحدة الأمة، ينتقل الحزب بنجاح في قيادة الأمة القيادة العملية في حمل الرسالة للعالم، وتنفيذ أحكام الاسلام جميعها، وإيجاد الطريقة الصحيحة في التفكير لايجاد النهضة الحقيقية على اساس ذلك المبدأ، والعمل على نشره عند كافة الأمم والشعوب تنفيذاً لايمانها بأنها إنما تعيش من أجل الاسلام، ومن أجل حمل هذا المبدأ الى (العالم تنفيذاً لما جاء في عقيدة هذا المبـدأ ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾. وقد شهد علينا رسول الله)ﷺ، حيث بلّغ الرسالة وأدى الأمانة، ووصلنا كتاب الله جلّ ثناؤه وسنة رسوله ﷺوهما الحجة علينا يوم الدين. فبقي أن نتمكن من إقامة الحجة على الناس، أي على العالم، بأن نوصل اليهم الاسلام، ونقيم عليهم الحجة أمام الله عز وجل.

الحركة الجماعية

إن هذا التكتل الحزبي حركة جماعية، ولا يمكن أن يكون إلا حركة جماعية، لأن التكتل الصحيح لا يكون إلا حركة جماعية وليس حركة فردية. إذ أن الحركة الفردية لا يمكن أن تنهض بالأمة، ولا أن تصل الى الهدف الذي أملته الفكرة – أي عقيدة المبدأ. ولما كان الأمر كذلك، كان لزاماً على القائمين على الحزب في البلاد الاسلامية أن يبحثوا البحث الدقيق عن الحركات الجماعية، وأن يفهموها فهماً عميقاً. لأن فهم الحركات الجماعية يسهّل علينا أن نزن كل حركة جماعية بميزانها السويّ، وذلك بدراسة البيئة التي عاشت او تعيش فيها، والظروف التي لابستها او تلابسها، ومدى عمل الافراد النابهين في تسيير أمرها، وتسهيل مهمتها في القضاء على ما يعوق نجاحها، او يعرقل سيرها.
ويقاس نجاح الحركة الجماعية بقدرتها على إثارة روح الامتعاض في الناس، وحثهم على إظهار امتعاضهم كلما جدّ من السلطة الحاكمة او النظام القائم ما يمسّ مبدأها هذا، او تحكم به وفق مصالح السلطة وهواها.

ومن ملاحظة الحركات الجماعية التي لها قوة التأثير في عصرها، يظهر أنها **لا تنشأ حين** يكون الرخاء ميسوراً، والحقوق الطبيعية للانسان محققة، والرفاهية متوفرة، والكفاية الشخصية هي المقياس لتولّي الأمور الهامة. ذلك لأن دوافع الحركة عند الناس ليست موجودة. فالحاجة متوفرة، والحقوق محفوظة،

وفرص تحقيق الرفاهية وتأمين الكماليات مؤمنة، ولا شعور بالظلم، لأن الأمور تسير من حيث المسؤوليات بوضع الرجل المناسب في المكان المناسب بغض النظر عن وزنه الاجتماعي. ومثل هذه الأمور، التي تغطي حاجات الانسان وجوعاته، تمنع وجود أية رغبة عنده في التغيير، فهو بطبعه لا يتطلع الى أكثر من هذه الأمور. فمتى توفرت، أخلد الى الهدوء والراحة والاستمتاع بما هو متوفر لديه. وحتى لو كان طموحاً، فان باب الطموح مفتوح على مصراعيه، لأن تولّي المسؤوليات والحصول على أعلى الوظائف موقوف على الامكانيات الشخصية، فلا واسطة ولا محسوبية ولا رشوة. ولذلك فانه لا يلحظ حدوث حركات جماعية في مثل هذه المجتمعات، وخصوصاً حين يكون العرف العام قد استقر على مفاهيم معينة هي عين المفاهيم والنظم التي تقوم السلطة بتنفيذها.

ولذلك حين نجد حركة جماعية في قطر من الاقطار لا بد من معرفة الظرف الذي نشأت فيه، والأحداث والوقائع التي أدت الى ظهورها، او تزامنت مع ظهورها. أي لا بد من معرفة طبيعة ذلك المجتمع بما فيه من عادات وتقاليد وأعراف، ومعرفة الأحداث السياسية او الاجتماعية التي دفعت بالناس بشكل جماعي الى الحركة، ومعرفة الملابسات التي استغلتها الحركة حتى حركت الناس معها، وأهل الفعاليات في هذه الحركة، هل هم من أهل الفكر يقودون الحركة فانقاد الناس لهم، أم هم من أهل البندقية والسيف، أم هم من أهل المال وتحقيق المصالح. ومعرفة ما هي الأوتار التي ضرب عليها هؤلاء، ومدى امكانية هؤلاء الناس في تسييرها والاستمرار بها، ومدى قدرتهم على تحقيق ما منّوا به الناس من آمال او مصالح، ومدى قدرتهم على إزالة ما يعرقل سير هذه الحركة او القضاء على ما يعيق نجاحها. ومعرفة ما اذا كان النافذون والنابهون في هذه الحركة هم القادة المباشرين للناس، وهم المحرّكين للناس، بالمخاطبة المباشرة، أم من خلال مفاتيح معينة، أي من خلال الزعامات المحلية في المجتمع بل في المدينة والأحياء. ومعرفة ما هي الوسائل والأساليب التي يستعملها هؤلاء الناس لأخذ هذه الزعامات المحلية، إن كان عن طريق الزعامة المحلية، او كان بالمخاطبة المباشرة للناس من قبل النابهين في هذه الحركة. وما هي الأساليب والوسائل التي تتبع في اثارة الامتعاض والتعبير عن هذا الامتعاض حين تقدم السلطة على تصرف يتعارض مع مبادئ هذه الحركة، أم أنها تسيّر ما تنادي به الحركة من قبل السلطة الحاكمة حسب هوى هذا الحاكم ومصلحته.

بعد فهم هذه الحركات ومدى فعاليتها وأساليبها ووسائلها، لا بد لنا كحركة جماعية من فهم واقع المجتمع الذي نعيش فيه، والمجتمعات المحيطة بنا. أي معرفة الرأي العام، ومعرفة الأعراف العامة، ومعرفة العادات والتقاليد، ومعرفة القضايا الحساسة التي يتأثر الناس بها، ومعرفة الفعاليات في المجتمع وما يسمى بالمفاتيح والزعامات المحلية، ومدى تأثيرها على الناس. هذا من حيث **دراسة المجتمع**. أما **من حيث علاقة المجتمع بالسلطة** أي بالحكام، وعلاقة هؤلاء الحكام بالأمة، وقوام كل منها، وحقيقته، من حيث ارتباطه بالاسلام وايمانه به، والآراء والافكار والأحكام التي دعا اليها الاسلام. فهل هؤلاء الحكام مؤمنون بالاسلام، وهل فيهم القابلية لتقبل هذه المفاهيم، وهل فيهم قابلية الإنفكاك عن أسيادهم، والأخذ بما جاء به الاسلام؟ أم أنهم عملاء لا يرجى انفكاكهم، أو أنهم أنفسهم أعداء للاسلام ويحاربونه ويرفضون أي فكر له؟ وذلك لمعرفة

كيفية التعامل مع هؤلاء الحكام، ومعرفة كيفية تقديم النصح لهم، او إثارة الأمة ضدهم. وهل أن ما وصلت اليه حال هذه الافكار والأحكام والآراء في المجتمع من إبعاد عن الحياة يثير امتعاضهم، ويأسفون لما حصل، أم أنهم من العاملين على إبعاد هذه الأحكام عن الحياة؟ وإن وجد من يهتم بمثل هذه الأمور، فإلى أي مدى يكون اهتمامه بها؟ فقد حدث تغيير في أحكام الاسلام، كما استبدلت به أحكام كفر صراح، كما حدثت اجتهادات أو زُعم أنها اجتهادات. فهل اهتم هؤلاء بهذه الاجتهادات، إن كانت اجتهادات صحيحة أم أنها محاولة لعدم إثارة المجتمع. وسواء حصلت هذه الاجتهادات في الأصول او الفروع، وهل يقرّها الاسلام أم لا يقرّها الاسلام. كل هذا، لا بد من معرفته وإدراكه بالنسبة لكل حاكم من حكام المسلمين.

هذا بالنسبة للحكام. أما **بالنسبة للأمة**، فلا بد من معرفة حالتها النفسية، ومعرفة اهتمامها بهذا الأمر، وهل يثير فيها النقمة وهي ترى أحكام الاسلام تختفي من حياتها ويستبدل بها أحكام كفر صريح وتطبق عليها أنظمة الحكم والاقتصاد والاجتماع التي جاء بها الكافر وطبقها عليها بالقوة وبالمكر وبالمال. فما هو موقف الأمة من هذه الأمور؟ وهل في الضرب على هذا الوتر ما يحرك مشاعر الأمة، أم أنها مشغولة بتدبير عيشها وتأمين مصالحها؟ ذلك لأننا إن أردنا تحريك الأمة فلا بد من إدراك الأوتار التي يجب الضرب عليها. ولذلك لا بد من التأكد مما اذا كان الاسلام ما زال يحتل مركز التنبُّه فيها، وهل الإساءة اليه تثيرها؟ لأننا انما نريد ان نحركها على اساس عقيدتها. وهل تشعر هذه الأمة أن أسباب شقائها وتعاستها إنما هي بسبب غياب إسلامها عن واقع الحياة؟

أضف الى ذلك معرفة جمهرة المفكرين والمثقفين في الأمة، وموقفهم من الاسلام، وما عندهم من ميول، ومدى تقبّلهم للنظم القائمة المطبقة على الناس. وما الذي يشغل تفكيرهم: هل هو فساد النظام، أم فساد تطبيق النظام كما يدّعون؟ وهل يرون فساد الديمقراطية وافكارها، أم انهم يرون ان المفسدة سببها اساءة تطبيق الديمقراطية وكبت الحريات او تقييدها؟ وذلك لمعرفة كيفية مخاطبتهم والأمور التي تناقش معهم. ولا بد من معرفة مدى صلابتهم وقوة عودهم، او ضعفهم وانصياعهم للإغراء والتهديد.

إن هذه المعرفة ضرورية للحركة الجماعية لأنها على ضوء هذه المعرفة تستطيع ان تختار الأساليب والوسائل التي يقتضيها الحال عند محاولة قيادة الأمة ودفعها للعمل. كما تستطيع ان تتخذ ما يلزم تجاه الحاكم وزمرته، او جمهرة ما يسمى بالمفكرين والمثقفين وأصحاب الفعاليات. حيث يجب استعمال الكلمة في موضعها والسيف في موضعه. كما قال الشاعر:

"ووضع الندى في موضع السيف دائماً =========== مضرٌّ، كوضع السيف في موضع الندى"

معرفة الكتلة نفسها

﴿أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾

إن من يبتغي القوامة على المجتمع، ويريد أن يحيط علماً بما يجري حوله، ومعرفة أحوال المجتمع وأحوال حكامه، وعلاقة الحاكم بالمجتمع، والمجتمع بالحاكم، وموقف كل منهما من مبدئه، ومن الاسلام وأحكامه وآرائه، وما لحقها من تغيير وتبديل واجتهاد، لا بد له من دوام مراقبة كتلته، ومعرفة واقعها، والتأكد من الأسس التي قامت عليها الكتلة، والتأكد من أنها ما زالت سائرة على تلك الأسس.

فقد قامت هذه الكتلة نتيجة منطق الاحساس. فهل ما زال إحساسها مرهفاً، فلا تفوتها هزة في المجتمع، ولا تغفل عن أي تغيير او تبديل يطرأ من حولها؟ أي هل أنها ما زالت تعيش مع الناس، فتحسّ بإحساسهم، وتشعر بشعورهم وبما يعانون من عسف وظلم؟ أم أن كثرة المصائب وعظمها بلّد إحساسها، وعيشها بأفكارها ومفاهيمها جعلها تعيش في عزلة عن الناس ومدى متابعتها للأحداث وانفعالاتها معها، أم أن الناس قد سبقوها نتيجة توقفها ولو للحظة، وأخذت تركض وتلهث محاولة اللحاق بالمجتمع، حتى أضحى هو القائد لها بدلاً من أن تقوده هي؟

كما أنه من المعروف أنها قامت على الفكر العميق. وسارت تعالج القضايا بفكر عميق. فهل تأثرت بسطحية المجتمع، وتفاهة التكتلات الاخرى. وأخذت تعالج الأمور بسطحية وتفاهة، وتأخذ بمظاهر الاشياء مبتعدةً عن العمق في البحث بحجة أن الناس لا يدركون العمق ولا يستوعبونه. وبالتالي فان المجتمع أدار لنا ظهره، وعزف عن سماع آرائنا، وقراءة نشراتنا، والاطلاع على كتبنا. ولهذا لا بد من التبسيط، فأدى ذلك الى السطحية والتفاهة وترديد التعابير المبتذلة وسلكت طريق الوعظ والارشاد؟

كما سارت الكتلة في طريق الإخلاص الخالص. فهل ما زالت تعرف هدفها، وتعيش من أجله. ولا تسير الا في الطريق الذي حدده المبدأ؟ أم انها أخذت تلجأ الى المناورات، وتحاول التقرب من الآخرين بحجة وحدة الأمة، ووحدة الحركات، وتوحيدها؟ وبحجة المحافظة على شبابها، وعدم تعرضهم للأذى؟ إن الدعوة لا تقبل الاشتراك. ولا بد أن تغرس في نفوس أبنائها أنهم إنما يعيشون من اجل الاسلام، وأن عملهم الحياتي إنما هو من أجل مساعدتهم على حمل الدعوة. أي على الايمان المطلق بأنهم باعوا أنفسهم وأموالهم لله تعالى.

وهل تقبل المجتمع من حولها لأفكار الكفر واحتضانه لها كالحرية والديمقراطية والوطنية، وما يقوم فيه من تكتلات او جمعيات او تنظيمات او اعمال قد أضعف ثقتها بشريعة الاسلام، وأضعف ايمانها به، حتى بدأ يتردد على بعض الألسن أننا نريد اسلاماً يتناسب مع القرن العشرين. او ما يلاحظ من بعض التصرفات التي تأثر فيها شباب التكتل بما في المجتمع من عادات وتقاليد، مع وضوح مخالفتها للاسلام؟ او محاولة تبرير هذه

المخالفات بمخارج يبيحون بها لأنفسهم مثل هذه المخالفات؟ كالذي يستعمل الكولونيا بحجة أنها كحول ميثيلية، او أن نسبة الكحول فيها أكثر من 60% فأصبحت بحكم السم، الى غير ذلك؟

ولا بد من ملاحظة مدى تأثرها بما يقوم به الحكام في مجالها من أعمال ظلم وتعسف، وما تعرض له شبابها من تعذيب وتشريد وسجن وقتل، ومحاربة في لقمة العيش، وما تحاوله من إغراءات او تقديم منح ومساعدات. فلا بد ان تكون الكتلة ثابتة صلبة لم يؤثر فيها ذلك بشيء.

بعد ذلك كله، لا بد لهذه الكتلة من التحقق مما عندها من قيم ذاتية، ومن أن منطقة ايمانها آمنة، وكذلك من تشبُّعها بالافكار الاسلامية العميقة، وتبنّيها للمصالح العامة، وشعورها بالمسؤولية. فكل ذلك لا بد أن يكون كاملاً. فلم تؤثر عليها الأحداث بشيء، ولم يثنها عن عزمها ما لحقها من عسف و جور، بحيث اصبح المبدأ في حصن حصين في قلوب وعقول المؤمنين.

وأخيراً لا بد من التأكد دائماً من ان هذه الفئة المؤمنة قد وطّدت العزم على المضيّ قدماً حتى تحقق هدفها، وتبلغ غايتها، وتضطلع بالمسؤولية كاملة، مع تقديرها لجميع النتائج واستعدادها لتحمّلها والقيام بأعبائها.

إن هذه الدراسة العميقة للحركات الجماعية تاريخياً وواقعياً، ترشد الى حقيقة سير الحزب باعتباره حركة جماعية، والتأكد من كونه مستكملاً شرائطه، سائراً في طريقه الطبيعي. وقد وضعنا هذه الأسس المستقاة من الدراسة الدقيقة للحركات الجماعية، وما يجب ان تكون عليه. وذلك لجعلها مقياساً تراقب على أسسه هذه الحركة الجماعية، وميزاناً تعرف بموجبه مواقف هذه الحركة وخط سيرها. حتى اذا لوحظ منها أي زلل، او تنكّب او خروج عن الطريق، أو لوحظ ان هذه الدراسة تقتضي تعديلاً في الجهاز، من حيث لجانه وأجهزته وصلاحياتها وقانونه الاداري، او من حيث المرونة في السير حسب مقتضى ما يتطلبه الأمر، او اقتضى صلابة في الكفاح، يصار عندها الى ايجاد الأساليب والوسائل التي تضمن له أداء رسالته في إنهاض الأمة، وبنائها على اساس انها أمة تحمل رسالة لجميع الشعوب والأمم. لذلك لا بد أن يترکز في الأمة معنى الآية الكريمة ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداءَ على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ ولا يمكن أن أشهد على أحدٍ إن لم أكن قد بلّغته وأقمت الحجة عليه. تماماً كما فعل رسول الله ﷺ وهو يقول (ألا هل بلّغت، اللهم فاشهد).

سير التكتيل الحزبي الصحيح

يسير تكتيل الحزب تكتيلاً صحيحاً في الطريق الآتي:
1- الإهتداء الى المبدأ من قبل شخص فائق الفكر والإحساس. قلنا أن العملية الفكرية وتكوين القضايا والبحث في أسباب الأزمات ينشأ في الأمة نتيجة للهزات والمصائب التي تحيط بها. ونتيجة لهذه العملية يهتدي أحد

افراد هذه الأمة الى المبدأ ويبصر طريق الخلاص. ولما كان هذا الاهتداء للمبدأ نتيجة لعملية فكرية مبنية على احساس صادق، فان من الطبيعي أن **يتفاعل** هذا الشخص بهذا المبدأ، فيتبلور فيه حتى يصبح **جزءاً من كيانه**. فالفكرة واضحة بنيت على العقل، والطريقة تضمنتها الفكرة كذلك، بالاضافة الى ان الغاية والهدف قد حددتهما الفكرة ايضاً. وبهذا تكون الخلية الاولى قد تكونت. وقد بيّنا ان الفكر لا يطيق ان يبقى حبيساً، لذلك لا تلبث هذه الخلية ان تتكاثر. الا انه تكاثر بطيء. حيث يوجد اشخاص آخرون من نوعية الشخص الاول او قريباً منها يكوّنون خلايا كذلك. فيتم **الاتصال** ببعضهم البعض اتصالاً كلياً بالمبدأ، فيتكون منهم الحلقة الاولى للكتلة الحزبية، والتي تتكون منها قيادة الحزب. فلم يكن اتصالهم بناءاً على معرفة سابقة، ولا لصداقة قديمة، ولا لمصلحة آنية، وإنما كان اتصالهم بالمبدأ وحده، وجرى تكتلهم على المبدأ وحده. فكان المبدأ هو محور هذا التكتل، وكان الايمان به ووجوب العمل له هو القوة الجاذبة لهم حوله، أي أن الرابطة التي جمعت بينهم هي المبدأ، والمبدأ وحده.

2- تكون الحلقة الاولى – عادة – قليلة العدد، بطيئة الحركة. وهذا أمر طبيعي. فبالرغم من انها تعبر عن احساس المجتمع الذي تعيش فيه، الا انها حين تعبر عن هذا الاحساس فانها تستعمل ألفاظاً وتعابير تختلف عما اعتاد المجتمع سماعه، مثل تحديد معنى المبدأ، تحديد معنى العقيدة، توضيح معنى الاستعمار. وبدلاً من كلمة استقلال – تلك الكلمة المبتذلة – تستعمل هذه الحلقة تعبير "استئناف الحياة الاسلامية، وعودة الاسلام للحياة، وإقامة الخلافة"، **وتهاجم** الرابطة القومية والوطنية والمصلحية والروحية، الى غير ذلك من التعابير التي لم يعتد المجتمع سماعها. هذا بالاضافة الى طرحها مفاهيم تخالف مفاهيم المجتمع السائدة، وإن كانت تعبر عن احاسيس المجتمع حين تجعل قضية المجتمع هي عودة الاسلام للحياة، وتوضح ان المبادئ الاخرى كالشيوعية والرأسمالية إنما هي افكار كفر، وأن أفكار الحرية والديمقراطية إنما هي افكار كفر.
وحين تبين ان العقائد لا تؤخذ الا عن يقين، وأن الأحكام الشرعية مصدرها الوحيد هو الوحي، وأن كل مسلم مسؤول أمام الله، وليس الأمر مقتصراً على العلماء والفقهاء. وأنه لا رجال دين في الاسلام، وأن غير المسلمين من الرعية يجب ان يُنظر اليهم على انهم أهل ذمة، لهم أحكامهم الخاصة. ان هذه المفاهيم وإن كانت مما يحس به المجتمع، الا انه لم يعتد سماعها. وهذا ما يجعل هذه الكتلة قليلة العدد بطيئة الحركة، لأن الناس ينظرون اليها نظرة استغراب. بل انهم يعتبرونها غريبة عنهم. ولذلك فانه لا ينجذب اليها الا من حباه الله قدراً وافراً من الاحساس المرهف، الذي جعل فيه قابلية الإنجذاب الى مغناطيسية المبدأ المتجسد في هذه الحلقة الاولى.

3-- يكون تفكير هذه الحلقة الاولى "القيادة" عادة عميقاً، وطريقتها في النهضة جذرية، أي تبدأ من الجذور. أي انها تعمل للنهضة انطلاقاً من العقيدة لتوجد في الأمة أمرين في طريقة تفكيرها:
(أ) العمق في البحث: بحيث يصل في أي بحث الى الأصل الذي نشأ عنه.
و(ب) الشمول، تماماً مثل العقيدة التي بنوا عليها نهضتهم. حيث ان العقيدة فكرة كلية عن المحسوسات جميعها، وعما قبلها وما بعدها.
ومن كان هذا حاله في البحث لا بد له ان يرتفع عن الواقع السيء الذي يعيش فيه، فلا يجعله مصدر تفكيره. بل لا بد ان يحلق في الأجواء العليا حتى يستطيع ان يجعل الواقع موضع تفكيره. فيرى كل ما في المجتمع من سوء على حقيقته، كما ترى الكتلة بوضوح الواقع الجديد الذي تريد ان تنقل المجتمع اليه. أي تبصر هدفها وغايتها بحيث انها تستطيع ان تضع له المخطط الهندسي الذي يبين هيكليته وقواعده وأجزاءه. كما انها بسموّها عن هذا الواقع، ورؤيتها للواقع الجديد تستطيع ان تبصر الطريق المؤدية اليه، فتسلكه آمنة مطمئنة. وبذلك التحليق فوق الواقع الذي تعيش فيه، فانها تبصر ما وراء الجدار.

أما بقية الناس فهم مرتبطون بالواقع يرون ما حولهم فقط. فكان مصدر تفكيرهم هو الواقع الذي يعيشونه، ولا يستطيعون ان يروا أبعد من ذلك. ولذلك تجد معالجتهم منبثقة من الواقع الذي يعيشونه يحاولون تكييف أنفسهم للعيش مع الواقع، ولا يعملون لتغيير الواقع لأنهم لا يتصورون الواقع الذي يريدون ان ينتقلوا اليه. ولهذا تجد ان جميع الحركات التي وجدت لم تستطع ان ترسم لها صورة واضحة عن اهدافها وغاياتها. وإن دعت الى اهداف، فانها لم تحدد طبيعة هذه الاهداف وهيكليتها. فأفكارها ما زالت بدائية، والصور التي في أذهانها مستمدة من الواقع الذي تعيش فيه، وقياسها الأمور قياس شمولي مغلوط. فطوراً ترى الاسلام اشتراكياً، وطوراً تراه ديمقراطياً، وترى ان نظام الحكم شورى، فالشورى هي نظام الحكم في الاسلام، والديمقراطية هي الشورى، إذن فالاسلام ديمقراطي. بمثل هذه القياسات والمغالطات، تكونت عقليات عامة الناس بما فيها التكتلات القائمة، لأن تفكيرها مستمد من هذا الواقع السيء. ولذلك ما على الانسان الا ان

يكيّف نفسه للعيش بهذا الواقع، ولذلك يجعل منافعه تدور مع هذا الواقع، لأن هذا هو ما عليه واقع المجتمع والحالة التي وصل اليها. وكونه فرد او تكتل يعيش في هذا المجتمع ولم يستطع ان يسمو فوق ما عليه المجتمع لأنه لا يملك مقومات السمو عن الواقع. وهذا يختلف تماماً عن الحلقة الاولى – القيادة – لأنها تستند بفكرها الى قاعدة ثابتة وهي ان الفكر لا بد ان يتصل بالعمل، وأن الفكر والعمل لا بد ان يكونا من اجل غاية معينة يهدفان اليها، وان هذا كله لا بد وأن يكون في جو ايماني. هذه هي القاعدة العملية الثابتة: فكر، يتبعه عمل، من اجل غاية، في جو ايماني.

أما تفصيل ذلك فهو ان فكر هذه القيادة فكر عملي، أي هو فكر يراد به معالجة واقع معين، والتعامل به لا لمجرد بيان حقيقته وصدقه، بل للعمل به. فهو ليس فكرا فلسفيا للبحث عن حقيقة معينة، او للبحث في ما وراء الطبيعة، او فكر في نظريات او افتراضات يراد بيان صحتها او بطلانها. ولأنه فكر فقهي لاستنباط احكام وبيان مسائل، سواء أخذ بها الناس أم لم يأخذوا. مع ان الفكر الفقهي هو بحث في افكار عملية من حيث انه بحث في الاحكام الشرعية، والاحكام الشرعية احكام عملية، الا ان الفرق هو ان الفقيه يهمه استنباط الحكم الشرعي من الأدلة التفصيلية، سواء قلده غيره او التزمه بنفسه. وهذا خلاف ما قلنا عن هذا الفكر الذي هو مناط البحث، فهذا الفكر لا بد ان يكون مقترناً بالعمل، كي لا يعيش الفرد في خيال، او وهم، او على آماله وتمنياته، كالفلاسفة او المتكلمين او علماء الرياضيات والفيزياء، او الفقهاء والمجتهدين. لا ليس كذلك، بل افكار عملية فُهمت ليُعمل بها في هذا الواقع لتغييره.
واقتران الفكر بالعمل دون غاية محددة او هدف معين، دوران في حلقة مفرغة، يدور حامله حول نفسه. ومثل هذا شخص آمن بفكرة ما، ورأى فيها كل الخير فطفق يعمل بها ويدعو لها دون ان يحدد له هدفاً، او يعين له غاية، فهو يعمل ويعمل، ولكنه يدور على نفسه في مكانه، مثله مثل المخلصين من وعّاظ المساجد وخطبائها، والكتّاب الذين يبذلون الجهود المضنية في البحث والتنقيب والاستنباط ومن ثم التأليف والكتابة، آملين بغيرهم ان يسير على هذا النهج، او ان يؤدي انتشار هذه الافكار تدريجياً الى التغيير. ولهذا كان لا بد من وضع الأساس الثالث لهذه القاعدة، وهو الهدف من العمل. وليس المقصود هنا من الهدف أيَّ هدفٍ كان، كأن تقول: نوال الثواب، او الوصول الى رضوان الله، فذلك غاية الغايات. بل المقصود هو النتيجة المرجوة من القيام بالعمل، وتقصّد الوصول الى الهدف المعين، بالاضافة الى رضوان الله، لأن المقصود من العمل هو تغيير الواقع الفاسد الموجود في المجتمع، وايجاد واقع حسن.

الأساس الثالث هو الهدف. إن تحديد الهدف ووضع الغاية المعينة هو كسر لتلك الحلقة المفرغة وجعل خط السير مستقيماً حتى يصل الى نقطة معينة هي الهدف المرسوم. ورسم الهدف يعين تجسيد هذا الهدف في نفس حامل هذه الفكرة، والذي دفعه ايمانه بها الى العمل لها. فبدلاً من ان يكون عمله دوراناً حول نفسه دون غاية، صار عمله على خط مستقيم يؤدي بالنتيجة الى تحقيق غايته. وبمقدار وضوح هذا الهدف وبلورته في نفس الشخص، بقدر ما يكون اندفاعه نحو غايته وأمله في تحقيقها. خصوصاً حين يكون الهدف قد حددته الفكرة نفسها، وبيّنته بكلياته وجزئياته وبينت الطريق المؤدي لتحقيقه. ولا يكفي ان يكون الهدف فكرةً عامة غير محددة، بل لا بد ان يكون واضحاً وضوح الفكرة نفسها، لأنه هو الغاية من العمل. فحين يقول انه يعمل لتغيير المجتمع على اساس هذه الافكار، لا بد وأن يكون متصوراً للمجتمع الآخر الذي يريد ان ينتقل اليه. فلا ينخدع بمظاهر سطحية، او افكار جزئية، او بتطبيق بعض الافكار والاحكام متوهماً انه بذلك وصل الى هدفه، او هي خطوة اولى في سبيل الوصول الى هدفه. وكون هذه الفكرة قد انبثقت عن قاعدة اساسية، وأن العمل لها قد انبثق ايضا من نفس القاعدة الاساسية، والهدف كذلك بيّنته وفسرته الاحكام المنبثقة عن القاعدة نفسها، وهي القاعدة التي آمن بها واحتلت مركز ايمانه، وآمن بانه انما يعيش من اجلها، من اجل ذلك، صار الجو الايماني هو الدافع للعمل.

وهذا هو الاساس الرابع لهذه القاعدة العملية الثابتة. وأعني به الجو الايماني (فالجو الايماني هو **الإدراك الكامل لأن ما يقوم به من اعمال وما آمن به من افكار وما حدده من اهداف إنما هي احكام عملية تحتمها عليه قاعدته الايمانية**). ومعنى ذلك ان هذا الانسان وهو يصطدم بهذا الواقع الفاسد، وما فيه من صعوبات، وما يجابهه من مشاقّ، وما يلاقيه من محن، قد تفتر عزيمته، وتفتر همّته، ويتسرب الى نفسه اليأس او الإستيئاس، ويعود لمراجعة فكرته والأمر الدافع له للعمل. فحين يجد ان هذا الأمر منبثق من عقيدته بدليل، وحين يجد ان الله لا يضيع عمل عامل، وأن الجزاء الموعود به أكبر بكثير من الثمن المدفوع، وحين يدرك يقيناً ان مردّه الى الله تعالى، وايمانه به هو الركن الأساسي من تلك القاعدة، فانه بمثل هذه المراجعة وعيشه في ﷺفانه بمراجعته تلك لخط سيره، وإدراكه انه يقتفي خطوات رسول الله هذا الجو الايماني يجد باعثاً قوياً على العمل، وطاقة لا حدود لها. وبهذا الجو الايماني يستطيع ان يُخضع

الواقع ويغيّره. لأن مثل هذا الفكر المقترن بالعمل من اجل هدف معين وفي هذا الجو الايماني لا يتغير، ولا يتأثر بما يلاقيه او يمرّ به. بل على العكس، انه فكر ثابت لأنه من قاعدة ثابتة، ويغير ما يمر به، ويتأثر به الآخرون لانه فكر عملي يعالج وقائع عملية ومنبثق من قاعدة ايمانية ثابتة وهي العقيدة. وذلك بخلاف المجتمع المنحط، لأنه لا توجد لأفكاره قاعدة، واعماله ناشئة عن ردّات فعل او تقليد لغيره من المجتمعات، وهو بمجموعه لا يعرف الغاية التي يفكر ويعمل من اجلها، وتكون الغايات عند افراده فردية آنية أنانية. ومثل هذا التفكير بلا قاعدة ثابتة "عقيدة" تكون اساساً لأفكاره وميوله واهدافه، مثل هذا التفكير لا يوجد له جواً ايمانياً، ولا يؤثر في غيره، بل هو عرضة للتأثر بغيره، ويجد نفسه مضطراً ان يتشكل بالجو المحيط به. ومن هذا يأتي التضارب بين الحلقة الاولى وبين المجتمع الذي تعيش فيه أول الأمر.

4-- ان من أوجب الواجبات على هذه الحلقة الاولى أن توجِد الجو الايماني لأنه يفرض طريقة معينة في التفكير، أي انه يجعل التفكير دائماً إما مبنياً على القاعدة الفكرية – العقيدة – او منبثقاً عنها. ومن اجل تحقيق ذلك، فان عليها ان تقوم باعمال وحركات مقصودة حتى تسارع في بناء نفسها، وتنمية جسمها، وتنقية أجوائها، بإبعاد أي محاولة قياس على غير تلك القاعدة الفكرية، حتى يتسنى لها ان تنتقل من حلقة حزبية الى كتلة حزبية ثم الى حزب متكامل يفرض نفسه على المجتمع، بحيث يكون فاعلاً في المجتمع لا منفعلاً به. فالتقيد بالقاعدة الفكرية وجعلها مقياساً لكل فكر، ومنبثقاً لكل حكم، يؤدي الى رفض ما تركز في المجتمع من مفاهيم مغلوطة، وعقائد فاسدة، وعادات سيئة. فالضابط من الانفعال بالمجتمع هو اتخاذ هذه القاعدة – العقيدة – وجعل ما انبثق عنها من مفاهيم وما بني عليها من افكار جواً ايمانياً هو العنصر الفعال المؤثر في المجتمع.

-5- هذه الحركات المقصودة نعني بها الدراسة الواعية لأمور هي:

أ- الدراسة الواعية للمجتمع: وذلك لمعرفة العرف العام المهيمن على أجوائه، والرأي العام فيه حول قضاياه، والاشخاص الفاعلين فيه، ومعرفة الوسائل والاساليب التي تؤثر في أعرافه وعاداته وتقاليده، وهل ما زال فيه بعض النقاء والاخلاص، أم أن عنصر النفاق اصبح من الافكار المركزة فيه، او ان عنصر اللامبالاة هو المهيمن على نفسيات الناس فيه. وما هو موقف المجتمع من انظمة الكفر المطبقة عليه، ومدى حرصه على مفاهيم الاسلام وآرائه وتأثره بها، وما هو موقفه من حكامه وأعوانهم.

ب- دراسة واعية للاشخاص: ونعني بالاشخاص ذوي الفعاليات بشكل اساسي. وهل زعامتهم حقيقية أم أنهم زعماء بقضاء المصالح وتحقيق المنافع، أم انهم مفروضون فرضاً على الناس. ومعرفة الفئة المثقفة ومدى اخلاصها لثقافتها الاجنبية، وفهمها لها. ومعرفة المتعلمين من ابناء المسلمين، ما مدى اهتمامهم بالاسلام ووعيهم عليه، وايمانهم بأحكامه وآرائه.

ت- الدراسة الواعية للأجواء لمعرفة المقاييس والأسس التي يرجع اليها الناس في تفكيرهم، والقواعد التي يرجعون اليها في مفاهيمهم وآرائهم. وهل تتقدم مصالح المجتمع على مصالحهم، وهل ما زالت ثقتهم بالأجنبي تهيمن على نفسياتهم، وهل ما زالت شخصية الكافر هي المثل الأعلى في نفوسهم.

ث- الرقابة الحذرة لجسم الحزب من أن:

(1) يتسلل الى جسم الحزب عنصر فاسد يعمل على الوصول الى مركز القرار او العمل على انشطار الحزب على نفسه، او التشكيك بإمكانية الوصول الى الهدف وتحقيق الغاية، او أن يميل او يحاول إمالة الحزب عن الصراط السويّ الذي يسير عليه والطريقة التي تبنّاها.

(2) يحصل خطأ في تركيب جهاز من أجهزة الحزب التي يكون التكتل بحسبها. كأن تقوم إحدى لجانه بغير الصلاحية المعطاة لها، او ان تتخذ لجنة من لجانه قراراً بمعزل عن القيادة، أي ان تخرج عن مركزية القرار وقيادته.

6- الأمر الجامع بين أفراد الكتلة: أي الطريقة الحزبية، يجب ان تكون العقيدة الراسخة الثابتة، والثقافة الحزبية الناضجة هي الرابط بين اعضاء الحزب، وان تكون هي القانون الذي يسير الجماعة لا القانون الاداري المسطر على الورق. ولما كان الأمر الجامع بين افراد الحزب هو العقيدة والثقافة فلا بد إذن من العمل على تقويتها وذلك بالدراسة والفكر، حتى يتكون من هذه الدراسة والفكر طريقة منتجة في التفكير، وتفهم الأمور والوقائع والأحداث بشكل معين، وكيفية معينة. وذلك بتثبيت قواعد ومقاييس يُرجع اليها حين الحكم على الاشياء والوقائع. وبذلك نستطيع ان نربط بين الفكر والشعور. وبجعل العقيدة اليقينية الثابتة هي المقياس الاساسي لجميع الافكار والمفاهيم، نكون قد حافظنا على الجو الايماني مهيمناً على الحزب. وأبرز ما يلحظ هذا لدى الشباب في السؤال عن الدليل في كل مسألة. وهذا ما نعني بهيمنة الجو الايماني على الحزب لأنه ربطٌ بالعقيدة في جزئيات الاحداث والوقائع. وبهذا يكون الجامع بين الاعضاء القلب والعقل. فالايمان

بالمبدأ وجعله مركز التنبه يجعل القلب جامعاً بين الشباب، ودراسة المبدأ دراسة دقيقة وحفظ ما انبثق عنه من افكار واحكام واستظهار المقاييس والأسس التي جاء بها المبدأ يجعل العقل هو الجامع الثاني للشباب بتكوين عقلية معينة عند الجميع. أي يوجد عند الجميع طريقة واحدة معينة في التفكير. وبذلك يكون الحزب قد أعدّ إعداداً صحيحاً، وتكون رابطته متينة متانة تمكنه من الثبات أمام جميع الزعازع والعقبات.

-7 تشبه قيادة الحزب "الحلقة الاولى" الموتور الصناعي من جهة، وتخالفه من جهة اخرى.

ووجه الشبه فيها هو ان الموتور الصناعي للغاز مثلاً له طاقة حرارة تتولد من الشعلة والبنـزين في الحركة الموتورية، وهذه الطاقة الحرارية تنتج ضغطاً في الهواء، وهذا الضغط يدفع الذراع، وهو المحرك الذي يفرض حركته على القطع الاخرى فتدور الآلة. وعليه فان وجود الشعلة والبنـزين والحركة الموتورية هو الأصل. لأنه بتوليده للحرارة ينتج ضغطاً، وهذا الضغط يفرض حركته على باقي القطع ويدير الموتور. فاذا وقفت حركة الموتور وقفت جميع القطع. إذن لا بد من وجود الشعلة والبنـزين والحركة الموتورية، حتى يدور الموتور، ويدير جميع الآلة. وكذلك قيادة الحزب. فان الفكرة فيها بمقام الشعلة، والاحساس المتولد في الاشخاص الواعين في القيادة بمنزلة البنزين، والانسان الذي يتأثر احساسه بالفكرة هو الحركة الموتورية.

وعليه فان الفكرة حين تتصل بالاحساس في الانسان توجد طاقة الحرارة فتدفع القيادة الى الحركة، وحركتها هذه تفرض على سائر قطع الحزب من افراد وحلقات ولجان محلية وغير ذلك، فتتأثر بحرارتها، فتتحرك وتدور جميعها دوران الآلة. وهنا يبدأ سير الحزب بالحركة: فيأخذ دور النمو في تشكيله.

وعليه فانه لا بد من انبعاث طاقة الحرارة من القيادة لسائر اجزاء الحزب حتى تتحرك أجزاؤه جميعها. تماماً كحركة الموتور. وهذا هو وجه الشبه بين الحزب والموتور الصناعي.

و اهمية هذا التشبيه ان يلاحظ قادة الحزب هذه الناحية لمراقبة حركة بقية الاجزاء، فاذا أحسّ هؤلاء القادة ان بقية الاجزاء او بعضها لم يتحرك ، فان عليهم زيادة اتصالاتهم ، لان الآلة لا تدور الا اذا دار الموتور، و بعث الحرارة منه.

الا ان القيادة لا يكون تحريكها مؤثراً بفرض الحركة على الحزب كالموتور الصناعي، بل يكون تحريكها كذلك اول الامر فحسب. اما بعد سير الحزب فلا يكون كذلك ، لان المفروض في كل عضو من اعضاء الحزب ان يكون هو نفسه موتوراً. فالشعلة والبنزين والحركة الموتورية يجب ان تتوفر في كل فرد. فالفكرة في كل منهم بمثابة الشعلة الموجودة فيه، وإحساسه بوجوب العمل بمثابة البنزين، والتأثر الحاصل بين الفكرة والاحساس هو الحركة الموتورية. وعلى هذا فان التشبيه ينطبق في البداية، او حين يلحظ تقصير او نفور. فالمفروض ان تنبعث الحرارة من القيادة للتحريك.

هذا بالاضافة الى **ان القيادة هي موتور اجتماعي، واعضاء الحزب، بلجانه وحلقاته هم من بني البشر، ويتأثرون جميعا بحرارة المبدأ المتجسد في القيادة، فيصبحون جزءا من الموتور.** فمجرد الحركة في الموتور تحرك كافة الاجزاء طبيعيا، لانها بصفتها موتوراً اجتماعياً تكون كلا فكريا شائعا في جميع الحزب. أي ان كل شاب في الحزب آمن بنفس المبدأ، وتجسدت فيه نفس الفكرة وارتبط بغيره بعقله وقلبه. فصار الحزب كله، كالجسم الواحد، أي كلا فكرياً، يفكر بطريقة واحدة. وفي هذه الحالة لا تكون القيادة وحدها هي التي تحمل الحركة الموتورية. بل – بنموها وتكامل تشكيل الحزب – أي بتكاثر الخلايا والحلقات، وتنظيم الاجهزة واللجان، وتحديد المسؤوليات والواجبات يكون الحزب كله حاملا للحركة الموتورية. وعلى هذا لا يحتاج سير الحزب الى حركة القيادة، ولا الى بعث حرارتها. بل يسير الحزب بوصفه كلا فكريا، لان المبدأ قد تجسد في جميع شبابه، وتسير الحلقات واللجان سيراً آلياً، دون حاجة الى حرارة القيادة، لان حرارة كل جزء منبثقة منه، ومن الكل الفكري الشائع في الحزب، والمتصل بهذه الاجزاء اتصالا طبيعيا.

8 – يسير الحزب في ثلاث مراحل ، حتى يبدأ تطبيق مبدئه في مجتمعه:

اولا : مرحلة الدراسة والتعلم لايجاد الثقافة الحزبية، أي ايجاد وإعداد مجموعة من الشباب المستعد للتضحية.

ثانيا : مرحلة التفاعل مع المجتمع الذي يعيش فيه، حتى يصبح المبدأ عرفا عاما ناتجا عن وعي، وتعتبره الجماعة كلها مبدأها. حتى تدافع عنه جماعيا. وفي هذه المرحلة يبدأ الكفاح بين الأمة وبين من يقوم حائلا دون تطبيق المبدأ من الاستعمار او من يضعهم من الحكام والظلاميين والمضبوعين بالثقافة الاجنبية. لانـها تعتبر المبدأ مبدأها، والحزب قائداً لها. أي ايجاد أمة تثق بالمبدأ وبقيادة الحزب.

ثالثا : مرحلة تسلم زمام الحكم عن طريق الأمة تسلما كاملا، حتى يتخذ الحكم طريقة لتطبيق المبدأ على

الأمة. ومن هذه المرحلة تبدأ الناحية العملية في الحزب في معترك الحياة، وتظل ناحية الدعوة للمبدأ العمل الاصلي للدولة والحزب. لان المبدأ هو الرسالة التي تحملها الامة والدولة

. 9- أما **المرحلة الاولى فهي المرحلة التأسيسية**. وهي تتلخص في اعتبار جميع افراد الامة سواءاً في انهم خالون من كل ثقافة، والبدء بتثقيف من يريدون ان يكونوا اعضاء في الحزب بثقافته، و اعتبار المجتمع كله مدرسة للحزب حتى يخرّج الحزب في اقصر مدة الفئة التي تكون قادرة على الاتصال بالجماعة للتفاعل معها. فعلى الرغم من ان من يقبل ان يكون عضواً في الحزب لا بد له من الايمان بالمبدأ وبعقيدة المبدأ والالتزام باحكام هذه العقيدة والسير بحسبها، الا اننا اشرنا الى ان الرابطة بين اعضاء هذا الحزب، بالاضافة الى العقيدة، هي الثقافة التي أعدها الحزب، لأن المسألة هي ايجاد كل فكري.
وايجاد الكل الفكري انما يعني توحيد طريقة التفكير، وتوحيد الآراء والاحكام والنظرة الى الوقائع والاحداث. و هذا لا يتأتى الا بتوحيد الثقافة وفهم الاسس التي يتم قياس المفاهيم عليها. ولهذا لا بد من اعتبار أي عضو - يقبل ان يكون عضواً - خالياً من اية ثقافة فيصار الى تثقيفه بهذه الثقافة الحزبية، حتى يتم تأهيله للاتصال بالجماعة وإعداده للقيام بأعباء هذه الدعوة، وتجسيد المبدأ فيه ليصبح فعلاً جزءاً من هذا الكل الفكري.
بالاضافة الى اعتبار المجتمع كله مدرسة للحزب، دون أي اعتبار لما في المجتمع من فئات أو تقسيمات أو طبقات. فلا فرق بين متعلم وأمي، الا بمقدار ما يستوعب من هذه الثقافة و يخلص لها، وبمقدار استعداده للتضحية والقيام بالاعباء.
ويجب أن يكون واضحاً ان هذا التثقيف ليس تعليماً. فهناك فرق كبير بين الثقافة والتعليم أعني اكتساب المعارف والمعلومات، ولو ان كلاهما اكتساب معارف وتنمية معلومات. و ان هناك فرقاً بين الثقافة والعلم، وهذا الفرق بين الثقافة والعلم آتٍ من ناحية تحصيلها. فالثقافة نحصل عليها بالتلقين والإخبار ثم الملاحظة والاستنباط. بينما نحصل على العلم من وضع المادة في ظروف غير ظروفها و إجراء التجارب عليها ثم الاستنتاج. وفي هذا بحث مفصل في غير هذا الموضع. بينما في هذه العبارة فان المقصود بالتفريق بين التثقيف والتعليم، ان المعلومات المكتسبة في التعليم معلومات ومعارف مدرسية قد يحتاجها الانسان في حياته، وقد لا يحتاجها ابداً. فالتعليم يقصد به اكتساب معارف ومعلومات او تنمية ما عنده من معارف ومعلومات. بينما التثقيف يقصد به تنمية معارف ومعلومات تبنى شخصية الفرد على اساسها، وتكون مقوّمة لسلوكه. فالثقافة هي الحصول على معلومات ومعارف يحتاجها الفرد في الحياة ويسير بموجبها. هذا ما نعنيه بكلمتي تثقيف وتعليم في هذه الفقرة. وهذا ما يبين الفرق بين عملية التثقيف هذه، وبين التعليم في المدرسة. ولهذا لا بد ان تكون الثقافة في الحلقات سائرة على اعتبار ان المبدأ هو المعلم، وان المعارف التي تعطى في هذه الحلقات يقتصر فيها على المبدأ، وعلى ما يلزم لخوض معترك الحياة.
اما ما يقتصر فيه على المبدأ، فهو العقائد والمعالجات وحمل الدعوة وبيان كيفية تنفيذ هذه المعالجات ومعرفة الواقع الذي يراد نقل المجتمع اليه، ومعرفة المجتمع الذي هو فيه، ومعرفة ما يقتضيه فهم المبدأ من قواعد واحكام ولغة وغير ذلك، وما هو من هذا القبيل.
واما ما يلزم لخوض معترك الحياة، فالمقصود به فهم ما في المجتمع من عقائد وافكار وعادات باطلة سيخوض معها مرحلة صراع عنيفة، فلا بد من الاحاطة بها لمعرفة الرد عليها كالشيوعية والديمقراطية والوطنية وغيرها، مما هو من هذا الباب. هذا من جهة، ومن جهة اخرى ان تؤخذ هذه المعارف والمعلومات للعمل بها حالا في معترك الحياة. وحين نقول للعمل بها في معترك الحياة، فاننا لا نعني بها الاقتصار على تسيير سلوكه الشخصي بموجبها بل المراد حملها للناس، وخوض الصراع الفكري مع خصومها، او نشر افكار المبدأ وآرائه ومعتقداته.

ولهذا لا بد ان تكون الثقافة **عملية**، سواء من حيث سلوك الفرد، او من حيث حملها ونشرها للناس وخوض الصراع الفكري بها. ولا بد ان تستبعد الناحية المدرسية العلمية، فلا هو امتحان ولا سؤال وإجابة ، ولا هو مسألة حفظ واستظهار. بل مسألة فهم وعمل. مسألة تثقيف وتفاعل وتجسيد للمبدأ في الدارس.

10 ـ **الحزب** هو تكتل يقوم على فكرة وطريقة أي على مبدأ آمن أفراده به. وهنا نذكر ان الفكرة هي العقيدة العقلية التي انبثق عنها نظام بما حوى من معالجات لمشاكل الانسان في الحياة، وحمل للدعوة الى الناس. واما الطريقة فهي كيفية المحافظة على هذه العقيدة وكيفية تنفيذ المعالجات وكيفية حمل الدعوة الى العالم. بالاضافة الى كيفية ايصال هذا المبدأ بفكرته وطريقته للحياة، أي الطريقة التي يسلكها هذا التكتل في عملية الوصول الى غايته متبعاً طريقة الرسول ﷺ في المرحلة المكية.

وفي هذه المرحلة لا بد له من الاشراف على فكر المجتمع وحسه، ليسيرهما بحركة تصاعدية. وعملية الاشراف هذه لا تعني مراقبة ما في المجتمع من افكار فحسب، بل إنزال افكاره على الوقائع الجارية وايجاد

الوعي عليها ومراقبة تقبل الناس لها وتأثرهم بها. ثم ان عملية اشرافه هذه انما تعني الحؤول دون الانتكاس في الفكر والحس ، كما حدث في 1967م حين اندفع الناس بافكارهم ومشاعرهم وراء المنظمات الفلسطينية، والاعمال العسكرية. ولم يستطع الحزب في حينه ان يحول بين الناس وبين تلك الانتكاسة. ولهذا لا بد له من هذا الاشراف لانه مدرسة الأمة التي تثقفها وتخرجها وتدفعها الى معترك الحياة العالمية. وهو المدرسة الحقيقية، ولا تغني عنه المدارس مهما تعددت وكثرت وشملت. الا ان **هناك فرقا بين الحزب وبين المدرسة لا بد من إدراكه**، وهذا الفرق واضح في عدة نقاط منها:

أ – من المعروف ان للمدرسة برنامجا معينا: تسير ضمن هذا البرنامج بشكل رتيب، ولا تخرج عنه. ولو أرادت ان تخرج عن هذا البرنامج فانها تحتاج الى فترة زمنية معينة. ولذلك فهي لا تسير بحسب وقائع الحياة الجارية التي تتغير وتتبدل باستمرار. فالثقافة التي تعطيها المدرسة والمواضيع التي تدرسها لا ترتبط بالوقائع والأحداث الجارية. وحتى لو حرصت على ذلك، فسيكون ارتباطها متعلقاً بفترة زمنية معينة. و بهذا تكون المعارف والمعلومات المعطاة من المدرسة مجردة من واقعها، فلا يكون لها التأثير الجماعي، لانها معلومات لا تلامس أحاسيس الناس ومشاعرهم. ولهذا فان المدرسة ليست معدّة لإنهاض الأمة، وانما وضعت لتعليم الناس وتنمية معارفهم. بينما الحزب وُجد أساسا لايجاد النهضة في الأمة، وحين يطرح أفكاره وآراءه او يثقف شبابه بثقافته المركزة، او يثقف الأمة بالثقافة الجماعية، انما يثقفها بافكار منزلة على الوقائع الجارية والاحداث ويخاطب مشاعر الأمة وأحاسيسها المتأثرة بما يدور في المجتمع من أمور، او ما تعانيه الأمة من صعوبات. فانزال الافكار على وقائعها هو الذي يحدث الأثر، ويدفع الأمة دفعاً الى التفكير بطريقة معينة، مما يوجد النهضة فيها. والمدرسة ليست قادرة على ذلك مهما كان نوعها او اختصاصها او امكانياتها.

ب- أن برنامج الحزب الصحيح يقوم على ما يلي:

1- الحيوية: فإنه ينمو ولا قيد على نموه ولا توقف.

2- التطور: فهو ينتقل من حال الى حال، إذ ينتقل من التثقيف وإعداد الشباب للصراع والتصدي للأفكار الأخرى، والكفاح السياسي ومجابهة الحكام، ثم الى تنفيذ ما يؤمن به حين يتمكن من ذلك.

3- الحركة: من حيث انه ينتقل في كل ناحية من نواحي المجتمع، في العقائد، في الأفكار، في الآراء، في السياسة، في الحكم، في الاقتصاد، في الاجتماع، في القضاء، في العقوبات، في كل نظام من انظمة الحياة. بالاضافة الى تنقله في كل جزء من اجزاء البلاد، في المدينة وفي القرية وفي مضارب البدو، في المدرسة والمصنع والمعمل وغير ذلك.

4- الحس: ان الحزب بمجموعة شبابه كائن حي يحس بكل ما يجري في المجتمع، ويشعر بكل ما يحصل، ويحاول التأثير فيه، بما لديه من افكار او معالجات.

وذلك لأنه أعد لهذه الغاية وبهذه الكيفية، أي انه يتشكل بحسب الحياة والمشاعر. وهو في تطور دائم ويعد لكل حال يسوسها، وفي تغير مستمر. ففي الوقت الذي يناقش مسألة حكم، يناقش مسألة اقتصادية او اجتماعية او سياسية حسب مقتضى الحال. ولا يسير على طريقة رتيبة. فالأصل فيه الإبداع في الاساليب، والتطوير في الوسائل. فالوسيلة عنده يحتمها العصر، والاسلوب يحتمه واقع العمل. فهو يسير مع الحياة وأشكالها، الا انه يحاول دائماً ان يشكل الجو الايماني، أي ان يجعل لتفكير الأمة قاعدة تنطلق منها، أي عقيدتها،كما يحاول تغيير الواقع وتكييفه حسب المبدأ.

ت- ان المدرسة حتى ولو كانت مدرسه دينية فانها تقوم على تهذيب الفرد وتعليمه باعتباره فرداً معيناً. وهي وبالرغم من كونها جماعة صغيرة الا انها فردية من ناحية تعليمية، فالعبرة بما تقوم عليه، لا من حيث كونها هي. فمهمتها وما تقوم عليه هو تهذيب الفرد وتعليمه. ولذلك فان نتائجها فردية حتماً؟ وأحب أن أذكر بمقومات الفرد – وهي العقيدة والعبادة والاخلاق والمعاملة – التي حتى لو بنتها تلك المدرسة، فحرصت على صفاء العقيدة، وبنتها على العقل، وجعلتها يقينية في الفرد، وبينت له أحكام العبادات بأدلتها وألزمته بها، وشجعته على القيام بالمندوبات إضافة الى الفروض، وحاولت معه ان يتصف بالصفات الحسنة وكل خلق حميد، وجعلته في معاملاته يسأل دائماً عن الحلال والحرام، فما كان حلالاً قبله وما كان حراماً ابتعد عنه، فإنها كمدرسة بمنهاجها يكون همّ الطالب فيها تحقيق النجاح. فقد يستظهر كل النصوص المعطاة له، ولكنه ينساها بمجرد تخطيه عتبة المدرسة.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية، أي في مرحلة التزامه بما درس، فان ذلك لا يتعداه كفرد، ولا علاقة له بفكر الجماعة او مشاعرها. فهو لا يعرف شيئا عن انظمة المجتمع والعلاقات العامة فيه، وليست موضع اهتمامه ليعرف ذلك. فلو افترضنا ان غالبية المجتمع قد وصلت الى هذا الحد من الالتزام، فان المجتمع يبقى على فساده ما دامت نظمه وعلاقاته قائمة على غير الاساس الذي يعرفه. وسواءٌ عنده أحَكَمَه مخلصٌ او خائنٌ، مؤمنٌ او كافرٌ. وحتى لو أتيح له ان يحكُم فانه لا يعرف من ذلك شيئاً، لأن ذلك ليس من ضمن اختصاصه كفرد. فالعلاقات العامة، وتنفيذ الاحكام، وإقامة الحدود، ورعاية الشؤون، واستخراج الثروات الطبيعية للناس، وحماية الثغور، وتجهيز الجيش لحمل الدعوة، كل هذا ليس من ضمن اختصاصه. ولذلك تبقى **النتائج فردية** مهما كثر عدد الذين تهذبوا وتعلموا حسب المنهج المدرسي.

ث- ان القيام على تربية الجماعة يختلف تماما عن القيام على تربية الفرد. فحين القيام على تربية الجماعة وتثقيفها فانما ينظر اليها بوصفها جماعة واحدة، بغض النظر عن افرادها. وحين نقول بوصفها جماعة، فإنما نعني أن ينظر الى الأمر الذي جعلها جماعة واحدة، أي ينظر للعلاقات الدائمة التي تقوم عليها الجماعة. وهذه العلاقات انما تقوم على افكار عامة وينتظمها نظام معين. ولذلك فانه يثقف الجماعة كي تغير كيفية تنظيمها لعلاقاتها الداخلية منها والخارجية، وتغير النظام الذي ينتظم علاقاتها بناءاً على قاعدة معينة. مما يوجد عند الأمة – الجماعة – قاعدة تنطلق منها في تفكيرها، لتغيير افكارها ونظمها، وتكوّن على ذلك عرفاً عاماً يكون له الفعالية المؤثرة في تنظيم العلاقات. ولهذا تكون النتائج التي نحصل عليها نتائج جماعية. وحين يثقف فردا او افرادا انما يثقفهم ليصبحوا صالحين لجزئية الجماعة، لا لفرديتهم، كما حصل عند تثقيف الفرد لفرديته. وهذا ما لا يتحقق مطلقا في المدرسة مهما بذلت من جهد، او أمضت من زمن، او خرجت من تلاميذ.

وقد اثبت الواقع القائم حاليا في أي قطر من اقطار العالم الاسلامي صحة ذلك. حيث ان حملة الشهادات العالية وفي كافة الحقول قد بلغ الآلاف بل الملايين، وفاقت نسبتهم فيه نسبتهم في أي بلد في العالم، ومع ذلك لم يؤثروا في نهضة الامة، بل لم يستطيعوا وقف انحدارها. حتى المدارس والمعاهد والجامعات القائمة على اساس الاسلام، وتدرس الاسلام وتخرج العلماء والفقهاء بالآلاف كالأزهر وكليات الشريعة والنجف بجامعاتها وفروعها، لم تؤد الى النهضة، والى السير في طريق النهوض، ولم توقف انحدار المجتمع.

ح- الأصل هو تهيئة الجماعة لتؤثر في الفرد. وبالتأكيد فهي القادرة على التأثير. وكلنا نلاحظ ان هيمنة عرف عام، او حتى عادات او تقاليد على سلوك الجماعة تجعل الفرد يجد نفسه وهو يعيش في هذه الجماعة مجبراً على السير والسلوك حسب هذه الأعراف او العادات والتقاليد. فضغط العرف العام له قوة اكبر من قوة القانون. فترى الفسَقة الذين يعيشون في قرى محافظة او أحياء منها، يبتعدون بفسقهم عن أجواء الجماعة وأعرافها ويذهبون الى أحياء أخرى تتقبل مثل هذه الاعمال خوفاً من تلك الاعراف. مع ان القانون والنظام المطبق يحميهم من الناس. وحين ندرك ان العرف العام هو عبارة عن مشاعر تتولد نتيجة لأفكار أخذت دور العراقة والتركيز في النفوس، حين ندرك ذلك، نقول ان هذا الشعور القوي قادر على التأثير الكلي على الأفراد جميعاً، وقادر على ايقاظ الفكر، أي دفع الناس لأن يبحثوا المسائل بحثاً فكرياً، ويتوصلوا ببحوثهم تلك الى نتائج منطقية تكون بداية لنهضة فكرية سريعة، وبأقل جهد ممكن. لأن الشعور القوي هو الذي يوقظ الفكر. وما الثورات الشعبية، والانتفاضات، وحتى المظاهرات، الا دفع شعوري عام، حركته في الناس فئة تعرف كيف تثير الشعور العام عند الجماعة. فاندفع الناس مقودين بهذا الشعور العام. وقد يندفع فيها من لم يكن يشعر او يحس بما أثير في الجماعة من مشاعر. مثل ما يسمى بالانتفاضة في الضفة الغربية، فقد عرفت الفئة او الفئات المحركة كيف تثير المشاعر العامة، فتوقظ هذا الاحساس، مع ان عيشهم عند اليهود وتعسف اليهود وظلمهم ليس جديداً. وقد احتلت هذه المشاعر كافة الأفراد فانساقوا وراءها. ومثل هذا الشعور يوقظ الفكر، فيؤدي الى التفكير في الاسباب والمسببات والنتائج والاهداف. مما يوجد عمليات فكرية، تؤدي الى السير في طريق النهضة، لو سلمت من التضليل والاحتواء.

خ- ويتلخص الفرق بين الحزب والمدرسة في ثلاث نقاط هي:

1) ان المدرسة رتيبة وغير قادرة على التشكل حسب مقتضى الحال. بينما الحزب غير رتيب وهو قادر على التشكل حسب مقتضى الحياة، في كل الاتجاهات، وفي كل المناطق، وبين جميع القطاعات.

2) المدرسة تثقف الفرد ليؤثر في الجماعة، فنتائجها فردية. بينما الحزب يقوم على تثقيف الجماعة لتؤثر في

الفرد، فتكون النتيجة جماعية.
3) المدرسة تهيئ الجزء الشعوري في الفرد ليؤثر في مشاعر الجماعة فلا يستطيع. في حين ان الحزب يهيئ الكل الشعوري في الجماعة – بضربه على العلاقات العامة في الجماعة - فيؤثر في الافراد، ويكون قادراً على ايقاظ الفكر.
11 – في هذه المرحلة الدقيقة - مرحلة التثقيف – لا بد من ادراك ان المجتمع بأكمله هو مدرسة الحزب الكبرى، مع دوام ادراك الفرق الشاسع بين المدرسة وبين الحزب في حلقاته الثقافية.
المجتمع: هو المدرسة.
المبدأ: هو المعلم.
الثقافة الحزبية: هي المادة التي تدرس.
المشرفون (أي الاشخاص الذين تجسد فيهم المبدأ وثقافة الحزب): هم الأساتذة المباشرون للتدريس.
الحلقات: هي صفوف المدرسة.
اللجان المحلية: هي الادارة المشرفة على تعيين المدرسين وملاحظة التدريس.

هذه هي الصورة المدرسية.

ولما كانت وظيفة الحزب في هذه الفترة هي بعث العقائد الصادقة، وإيجاد مفاهيم صحيحة، ولما كان المشرفون - أي الاساتذة أي الأشخاص الذين تجسد فيهم المبدأ والثقافة الحزبية - لا بد لهم من دراسة عميقة لهذه الافكار، وفهمها فهماً صحيحاً، ومذاكرة الثقافة الحزبية في كل وقت، واستظهاراً لدستوره، وللأحكام العامة والقواعد العامة التي يتبناها الحزب، ليحسنوا القيام بالمهمة الموكلة اليهم، وهي الاشراف على الحلقات أي تدريس الصفوف هذه المادة، وهذا لا يتأتى الا بتطبيق الصورة المدرسية، ولو انها خالية من الامتحانات وأوراق الأسئلة ووضع العلامات. الا ان ذلك يتم الا من خلال ملاحظة الاستاذ للدارسين ومعرفة مدى استيعابهم وقدرتهم على الفهم وفي أي المراحل اصبحوا، وملاحظة تفاعلهم مع هذه الأفكار واندفاعهم في فهمها ونشرها والالتزام بما جاء فيها، وتبني ما تضمنته الأفكار. ومن هنا كان لا بد من الحرص على هذه الناحية مع كل من يدخل في هذا الحزب بغض النظر عن حقيقته الثقافية سواء أكان جامعياً او متخرجاً من الأزهر او كان انساناً بسيطاً عامياً وفيه استعداد للتثقف. وليكن معلوماً ان أي تساهل في هذه المسألة مع أي فرد يعتبر تقصيراً كبيراً، وربما ينتج عن ذلك ضرر عام. من حيث ان هذا الشخص الذي جرى التهاون معه، لم يتفاعل مع هذه الثقافة وكان عنده خلفية ثقافية أخرى. فإن تحدث بين الناس فانه لا يعبر عن رأي الحزب فيما تحدث به. وان كلف بالاشراف على احدى الحلقات، فسيتخرج عنه افراد يحملون مثل ما يحمل – أي أفكاراً ومفاهيم تختلف عما تبناه الجزب - وبهذا قد يؤدي الى الانشطار او البلبلة على الاقل، او ان يبقى عضو شرف، وليس في الحزب اعضاء شرف. وأسوأ من ذلك لو تسرب مثل هذا الشخص الى أحد الاجهزة في الحزب فسيكون ضرره أشمل و أعمّ.
وما دامت هذه المرحلة مرحلة تثقيف وإعداد شباب للقيادة ذوي استعداد للتضحية والقيام بأعباء الدعوة، فانه لا يجوز مطلقا ان ينصرف عن هذه الناحية أبداً. فهي مرحلة تثقيف وإعداد، لا مرحلة عمل او تفاعل. ولذلك لا بد من وضع حاجز كثيف بين الحزب وبين العمل في هذه المرحلة، أي قبل ان يوجد الاشخاص المثقفون بهذه الثقافة، المستعدون للإضطلاع بأعبائها، المؤهلون لقيادة الأمة، وفي الوقت نفسه الانقياد للقيادة بانقيادها للفكرة. ولهذا كانت هذه المرحلة مرحلة ثقافية ليس غير.

واما **ضرورة دوام ملاحظة** الفرق بين المدرسة والحزب في الثقافة، **فذلك للاسباب التالية:**

أ – حتى لا تصبح الثقافة الحزبية ثقافة مدرسية، أي دراسة رتيبة لكتبه ولو أدى ذلك الى حفظها واستظهارها. لانه في هذه الحالة يفقد فعاليته، فلا يتفاعل الدارس بما يدرس، ولا يحمل لغيره ما فهم، ولا يهتم بما يجري حوله من احداث ولا ما يحصل من وقائع. مع ان ما يدرسه هو افكار واحكام وآراء لها واقع او تعالج واقعاً، وحين تدرس لا بد من ادراك واقعها وإنزالها عليه، والالتزام بما فهم.

ب- وحتى لا تبقى تعليماً أو ثقافة مدرسية لا بد ان يدرك منذ البداية ان هذه الافكار والمفاهيم انما تؤخذ لتغيير المفاهيم والعقائد في المجتمع، وللعمل بها في معترك الحياة، ولحملها قيادة فكرية في الامة. وفي هذا إشارة لمن يحمل هذه الافكار ان يشعر بانه قائد لهذه الامة بهذه الافكار، وليس مجرد فرد في الرعية يريد ان يفهم الاسلام.

ث- ان يُحال بين الراغبين في العلم وبين هذه الثقافة. فليست الغاية من هذه الثقافة تنمية المعلومات او استغلالها في التحصيل العلمي، والوصول الى شهادة معينة، او الاستعانة بها لأنها تساعده في مادة معينة او في تأليف كتاب يبتغي الربح من ورائه. ومن كانت له حاجة علمية فان سبيلها المدرسة او الجامعة او الكلية، ولا يجوز ان تتخذ الحلقة وسيلة لذلك.
بل ان من الخطر على الدعوة الاندفاع في الناحية العلمية، لانها تسلبه خاصية العمل، وبالتالي تؤدي الى التأخير في الانتقال الى المرحلة الثانية.

12- المرحلة الثانية هي مرحلة **التفاعل** مع الأمة.
وهي المرحلة التي يبدأ فيها الصراع الفكري مع الفئات الاخرى، ومع ما في الأمة من عقائد وأفكار وعادات.
كما يبدأ فيها الكفاح السياسي والتصدي للأنظمة الفاسدة والقائمين عليها.
وهذا يتطلب ان تكون المرحلة التي سبقت قد هيأت الاشخاص القادرين على تحمل أعباء الدعوة في هذه المرحلة. أي انه لا يكفي ان يكون الشاب قد استوعب تلك الثقافة وهضمها وتبناها، بل لا بد ان يكون قد عرف عنه في وسطه انه حامل دعوة، وان **الروح الجماعية** قد تكونت فيه، أي **يهتم بلقاء الناس كحامل دعوة**، حتى اذا انتقل الى المرحلة الثانية كان من السهل عليه ان يتصل بالناس وكان الاستعداد الجماعي موجوداً فيه، واصبح فيه قابلية التأثير في الناس الذين يعيش معهم. هذا ما يجب ان يتم في مرحلة التثقيف، **لا مجرد التعلم والاستيعاب والالتزام**. لأن نجاح الحزب في المرحلة الثانية متوقف تماماً على نجاحه في المرحلة الأولى، والاخفاق في هذه المرحلة دليل على وجود خلل في مرحلة التكوين. ولا بد من البحث عن هذا الخلل ومعالجته.
فباختصار، لا بد ان يكون جمهرة اعضاء الحزب مؤهلين للإنتقال الى المرحلة الثانية، **بالتثقيف الواعي، ثم الالتزام والتبني وعدم التهاون في ذلك، بالاضافة الى الاستعداد النفسي والتأهيل للتضحية. ولا بد أن تكون رغبتهم الجامحة هي العيش بين الناس. والأهم من ذلك، شعورهم بأنهم يعيشون في الناس قادةً لهم أو رعاةً لمصالحهم، أو حراساً لكيانهم، وأنهم مسؤولين أمام الله تعالى عن حمل هذه الدعوة للناس كافة. أي الإرتفاع بنفسيتهم من التبعية إلى القيادة. فهذا ما يحقق النجاح في المرحلة الثانية.**
13- وتأكيداً وتوضيحاً لما تقدم نقول: أن عضو الحزب لا ينتقل من دور الثقافة إلى دور التفاعل إلا إذا نضج ثقافياً نضجاً جعله **شخصية إسلامية**، أي تتجاوب عقليته مع نفسيته. إذ أن الشخصية قوامها العقلية والنفسية. والمقصود بالعقلية هي الكيفية التي يتم إدراك الأمور بحسبها. فالإنسان حين يبحث في مسألة ما، أو يريد الوصول لمعالجة ما، يحتاج إلى معلومات تفسر له هذا الواقع لكي يربطها بهذا الواقع، فيحصل على نتيجة ما. إلا أنه قبل أن يربط بين الواقع والمعلومات فإنه يحتاج إلى قاعدة أو مقياس يقيس عليه الواقع، ويقيس عليها المعلومات فيجري الربط بناءاً على هذه القاعدة أو المقياس الذي لجأ إليه حين الربط. إن هذه العملية أي الرجوع إلى قاعدة أو قواعد معينة، هي التي تحدد الكيفية التي يعقل بها الأشياء، وعلى أساسها تتكون عقليته. وباختصار، نستطيع القول أن تكوين العقلية متوقف على مجموعة المقاييس والقواعد التي يستعملها حين الربط.

مثلاً: شخص يتخذ قاعدة " أن صيغة الأمر تفيد الوجوب "، وآخر لديه قاعدة " صيغة الأمر تفيد مجرد الطلب ولا تنصرف عن ذلك إلا بقرينه ". عندما يبحث هذان في مسألة إعفاء اللحية، فإن كلاً منهما يصل إلى نتيجة مغايرة لنتيجة صاحبه، لأن الكيفية التي يتم بموجبها عقل هذه المسألة مختلفة بينهما، وهذا الإختلاف سببه الإختلاف في القاعدة التي استند كل منهما إليها.

وهكذا، فالعقلية الإسلامية هي التي تضع مجموعة القواعد والمقاييس الإسلامية مرجعاً تقيس عليها الواقع والمعلومات قبل عملية حكمها على الأشياء. أي أن جعل مجموعة النصوص وما تقاس عليه هذه النصوص منطلقاً للحكم على الأشياء واستنباط الأحكام لها هو العقلية الإسلامية. ومجرد السؤال عن دليل مسألة ما، لمعرفة ما إذا كان هذا الرأي مستنداً إلى دليل شرعي، يجعل العقلية عقلية إسلامية، فهي ليست خاصة بالفقهاء أو المجتهدين.

وأما النفسية فإنها سلوك الإنسان في الحياة بناءاً على مفاهيم عنها. فالنفسية الإسلامية هي التي تسأل عن

الحلال والحرام في كل عمل لها، فتقوم بما هو حلال وتمتنع عما هو حرام. وليست هي فقط النفسية المتبتلة المنقطعة للعبادة، أو المتصوفة. بل مجرد جعل الحلال و الحرام قاعدة للسلوك إنما يعني وجود النفسية الإسلامية. وتنمية العقلية يأتي بزيادة المعارف عن الشريعة والوعي على القواعد والمقاييس الشرعية. وهذا يتأتى بحفظ العديد من النصوص كالقرآن الكريم والأحاديث الشريفة والقواعد الأصولية و الفقهية. وأما تنمية النفسية فإنها تأتي من كثرة التقرب إلى الله بالطاعات أي القيام بالفروض وما هو فوق الفروض من النوافل والسنن وصيام التطوع وقراءة القرآن وغير ذلك.

" لا ...بهذه العقلية والنفسية تتكون الشخصية الإسلامية التي لابد منها لحامل الدعوة. قال رسول الله يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به".
هذا ما يجب أن يكون عليه عضو الحزب بالإضافة إلى ظهور الميول الجماعية فيه أي حبه للإتصال بالناس كحامل دعوة، وإخراجه من العزلة ، التي غالباً ما يتصف بها الشباب المؤمن الملتزم هروباً من فساد المجتمع، وابتعاداً عن مشاهدة الموبقات المنتشرة في المجتمع. إن هذه العزلة قاتلة للروح الجماعية التي يجب توفرها في حامل الدعوة، حيث أن هذه العزلة هي مزيج من الجبن واليأس. وتكاد أن تكون هاتان الصفتان تطغيان على نفوس معظم الشباب الملتزم، فهو خائف من اضطهاد المجتمع له، ويائس من صلاحه.
ولكن الخوف بلغ عنده حد الجبن المقعد عن العمل. فلا بد لحامل الدعوة أن يتخطى هاتين الصفتين. ولا بد من محاولة قلعهما من أفراد المجتمع بشكل عام، لأنهما أصبحتا من المفاهيم المركزة في المجتمع.

14- أما انتقال الحزب من دور الثقافة إلى دور التفاعل، فإنه انتقال طبيعي، أي بعد أن تستكمل في دور الثقافة نقطة الإبتداء. والغاية من هذا الدور وجود أشخاص تجسد فيهم المبدأ، وآمنوا بأنهم إنما يعيشون به ومن أجله. هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن المجتمع من حولهم بدأ يحس بالدعوة وبالمبدأ إحساساً واضحاً. فإذا تحقق له ذلك صار انتقاله إلى دور التفاعل انتقالاً طبيعياً. إذ أنه يمكن القول بأن المبدأ أصبح موجوداً في الأمة، ولا يخشى عليه. وهذا يعني الإنتهاء من نقطة الإبتداء والإنتقال إلى نقطة أخرى هي نقطة الإنطلاق. وبالحديث عن النقاط، لا بد من وقفة لتحديد معنى هذه العبارة.

هناك ثلاث نقاط تتضمن كل نقطه مرحلة تليها. فالنقطة الاولى هي نقطة الابتداء – أي نقطة التأسيس والوجود – فلا يعتبر الحزب موجوداً الا اذا تم تأسيسه أي بايجاد نقطة الابتداء. وتبدأ هذه النقطة منذ اللحظة التي أشرقت فيها هذه الدعوة في ذهن الشخص الاول، أي الخلية الاولى، مروراً بالبحث عن خلايا اخرى لتكوين الحلقة الاولى –القيادة - وإعداد الكتلة الحزبية، ثم المرور بمرحلة الثقافة والتي تعني ايجاد مجموعة من الناس مؤهلة لتحمل الدعوة، أقوياء بإيمانهم، مخلصين بدعوتهم، يعيشون بهذه الثقافة، ونذروا أنفسهم لها. بالاضافة الى ايجاد أجواء حولهم . أي جعل المجتمع الذي يعيشون فيه يحس بالمبدأ ويحس بهم كحملة دعوة. وبهذا نستطيع القول ان الحزب قد وجد، وان هذا الحزب عليه ان ينتقل للعمل في الأمة والتعامل معها. هذا ما نعنيه بالنقطة الاولى المتضمنة لمرحلة التثقيف. وهي ما نطلق عليه نقطة الابتداء.
أما النقطة الثانية، وهي نقطة الانطلاق، فتشتمل على مرحلة التفاعل مع الأمة، أي جعل الأمة في أحد أقطارها تحتضن المبدأ، وتحتضن دعاة المبدأ. أي تقبل بهذا المبدأ لتنظيم علاقاتها وتقبل بقيادة الحزب لها. أي ان التفاعل قد تم بين المبدأ والأمة وبين الأمة والحزب.

وأما النقطة الثالثة، وهي نقطة الارتكاز، فبعد التحقق من ان الأمة قد احتضنت الفكرة أي المبدأ وقبلت بالحزب قائداً لها، وتم التفاعل على هذا الاساس، يقوم الحزب بالانتقال من مرحلة التفاعل الى ما يسمى بنقطة الارتكاز. أي انه اصبح مهيئاً للتركز وتطبيق فكرته في الحياة. فتبدأ هذه النقطة بالبحث عن مراكز القوة الذين لهم القدرة على كسر الحاجز المادي الذي يحول بين الحزب وتطبيق مبدئه. فإذا تم للحزب العثور على مراكز القوة، ونفذوا ذلك انتقل الحزب الى مرحلة الحكم وتنفيذ المبدأ.

إذن نقطة الابتداء وتتضمن مرحلة التثقيف
ونقطة الانطلاق وتتضمن مرحلة التفاعل

ونقطة الارتكاز وتتضمن مرحلة الحكم

وبهذا يكون الحزب قد وصل الى هدفه وسار في تحقيق غايته، وهي **إستئناف الحياة الاسلامية وحمل الاسلام للعالم.**

15- عوداً الى عملية الانتقال الى نقطة الانتقال، نقول ان الحزب حين يريد ان ينتقل انتقالاً طبيعياً لا بد له من مخاطبة الأمة مباشرة. الا انه قبل ان يبدأ بمخاطبتها مباشرة، لا بد له ان يقوم بمحاولة مخاطبتها. فإذا نجح في محاولة المخاطبة، خاطبها مباشرة. ونعني بالمخاطبة المباشرة دعوة الأمة للقيام بأعباء الدعوة، واعتبار المبدأ مبدأها. وذلك قبل البدء بهذا الاسلوب، لا بد من محاولة المخاطبة لمعرفة مدى تجاوب الأمة مع هذه المحاولة. وهذا يعني ان يضيفه الحزب الى العمليتين السابقتين: التثقيف المركز في الحلقات، والتثقيف الجماعي اللتين كان الحزب يقوم بهما في مرحلة التثقيف. أي ان يضيف اليهما عملين آخرين هما تبني مصالح الأمة وكشف خطط الاستعمار.

وتبني المصالح إما ان يكون تبنياً فكرياً او عملياً. أما التبني الفكري فهو بيان ما تبنى الحزب من آراء ومعالجات لمصالح الأمة. واما التبني العملي فهو ان يأخذ على عاتقه تحقيق مصلحة من مصالح الأمة حين يقدر على ذلك او كان مما يجب عمله. وهذا أمر ليس بالسهل لأن المصالح انما يقوم على رعايتها النظام الفاسد المطبق عليها.

وأما كشف خطط الاستعمار فإنما يعني الاستعداد للكفاح السياسي. فان هذا العمل يشكل خطراً جسيماً على الاستعمار بكل أشكاله. ومن عادة كشف الخطط أن يؤدي ذلك الى إحباط الخطة ومنع تنفيذها، لأن الاستعمار وأعوانه مهما بلغوا من تسلط وجبروت، فانهم لا يباشرون تنفيذ خططهم وأساليبهم بشكل مكشوف، لأنهم يخشون غضب الأمة ونقمتها. ولذلك فانهم يخفون غاياتهم وأهدافهم تحت ستار كثيف من الخداع والتضليل حتى ينطلي عملهم على الأمة، ويبدأ ترويضها بقبول ما رسموا لها. فعملية الكشف حين تتقبلها الأمة وتثار نقمتها، انما تعني ايجاد النقمة عند الأمة على الاستعمار وأعوانه. ومن البديهي ان يتصدى الكافر لمقاومة الدعوة بواسطة عملائه وأعوانه. وهنا يبدأ الكفاح السياسي والمجابهة بين الحزب والسلطة القائمة. هذا بالاضافة الى الصراع الفكري الرهيب بين الحزب والفئات المناهضة له من حملة الافكار الفاسدة وما يتبعها من عداء ودعاية ومجابهات، تتطلب نفوساً عالية لتحمل هذه الأعمال. فاذا نجح الحزب في القيام بهذه الأعمال الاربعة (التثقيف المركز والتثقيف الجماعي وتبني مصالح الأمة وكشف خطط الاستعمار)، صار انتقاله لمخاطبة الأمة مباشرة انتقالاً طبيعياً. ومعنى نجاحه في هذا الأمر ثلاث نقاط:

(1) ثبات شبابه واستعدادهم لمجابهة أمر لم يعهدوه من سجن وتعذيب وتشريد ومحاربة في الأرزاق، واستمرار استعدادهم للتضحية والفداء.
(2) إجبار الفئات الاخرى التي تخالفه الرأي على خوض الصراع الفكري معه، وجعل الأمة تنتظر رأيه وتأخذه بالمناقشة، سواء قبلت به او رفضته.
(3) إجبار السلطة على التصدي له ولو بالسجن او التعذيب والتشهير والمنع، وكسر الطوق المفروض عليه من اللامبالاة او التعتيم الاعلامي عليه.

هذا ما يعنيه نجاحه في العملين الأخيرين، بعد ان نجح نجاحاً منقطع النظير في التثقيف والإعداد. **ونجاحه هذا هو الذي يجعل انتقاله الى مرحلة التفاعل انتقالاً طبيعياً.**

16- ان **التفاعل مع الأمة ضروري جداً.** لأنه لا بد من إدراك معنى التفاعل مع الأمة. فالمعنى المقصود من التفاعل هو قبول الأمة للمبدأ واعتباره مبدأها، وقبولها بقيادة الحزب لها. وليس المقصود بالتفاعل جعلَ الأمة او غالبيتها أعضاء في الحزب ويدرسون في حلقاته. فهذا أمر خيالي ولا يمكن ان يتحقق، لأن الفئة المتحركة في القضايا العامة، والتي تهتم بالشؤون السياسية في أرقى الأمم لم تتعدى في تاريخها . وكذا الحال في ﷺالى مجموع المسلمين عند وفاة رسول الله ﷺنسبة 6 % وهي نسبة الصحابة الدول الناهضة والتي مر على نهضتها قرون وأجيال. فان نسبة العاملين فيها في أحزابها السياسية لم تتعدَ نسبة 5 % . فاذا علم ان في الأمة فئاتاً وأحزاباً متعددة، والكل في صراع للحصول على هذه الفئة المتحركة (فئة ال 5 %) فان العبرة لا تكون في الكثرة او القلة، وإنما بمقدار انتزاع ثقة الأمة واحتضانها للفكرة وقبولها بقيادة الحزب. هذا ما نعنيه بالتفاعل.

وأهمية هذا التفاعل تكمن في ان الحزب لا يستطيع ان يقوم بعمله والنجاح في مهمته الا اذا تفاعل مع الامة.

ولا يستطيع ان يسوقها للقيام بعمل الا اذا تفاعلت معه. والذي يسهل عملية التفاعل هذه كون المبدأ موجوداً في تراث الأمة الثقافي والتاريخي، وعقيدة المبدأ هي عقيدة الأمة التي تثير مشاعرها وتنبه أحاسيسها. وحين تحولت هذه الاحاسيس الى فكر، تبلور في الفئة المختارة، التي تكون منها الحزب، وكانت القاعدة الثابتة لهذه الاحاسيس، وهي " **الفكر والعمل من اجل غاية** " هي التعبير الحقيقي للمبدأ. ولذلك كان المبدأ هو إحساس الأمة الداخلي، ويكون الحزب معبراً عن هذا الاحساس. واذا كان الحزب فصيح التعبير، أي يوضح ما يريد بلا تورية ولا مواربة، من حيث ان الفصاحة هي إبراز المعنى المراد، فحين ينادي بالحكم الاسلامي فلا يتخفى وراء كلمة دولة اسلامية، او حكومة اسلامية، او جمهورية اسلامية، بل يقولها "خلافة" بلسان فصيح بلا مواربة. وحين يتحدث عن الاستعمار لا يكتفي بذلك بل يصفه بصفته الحقيقية "الكافر المستعمر". هذا من حيث الفصاحة في التعبير. أي واضح اللغة. فاللغة هي القالب الذي تصب فيه المعاني الموجودة في النفس. ولذلك لا بد له من استعمال اللغة التي يفهمها الناس بسهولة ويسر، متصفاً بصدق اللهجة. هذا وصدق اللهجة انما يعني الجرأة في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، فلا يداهن و لا يداجي ولا يخادع. يقول رأيه بكل صراحة ولا يخشى أحداً الا الله ولا يستعين الا بالله.
فاذا سار الحزب متصفاً بصدق اللهجة، ووضوح اللغة، وفصاحة التعبير، فهمت الأمة المبدأ سريعاً، وتفاعلت مع الحزب، واعتبرت بمجموعها هي الحزب، واعتبر الحزب قائداً لهذه الأمة، يسير نحو المرحلة الثالثة بخطى ثابتة، وطريق واضح، وهي مرحلة تطبيق المبدأ تطبيقاً انقلابيا عن طريق الحكم باعتباره الطريقة الوحيدة لتنفيذ الفكرة، أي باعتبار الحكم جزءاً من المبدأ.

الا ان هنالك صعوبات عديدة تقف في وجه هذا التفاعل. ولا بد من معرفتها، ومعرفة طبيعتها، للعمل على التغلب عليها. وهذه الصعوبات كثيرة أهمها ما يلي:

أ – تناقض المبدأ مع النظام المطبق في المجتمع.
ب- اختلاف الثقافة الموجودة في المجتمع مع ثقافة المبدأ.
ت- وجود الواقعيين في الأمة.
ث- ارتباط الناس بمصالحهم.
ج- ما يتوهم انه صعوبة مثل الاختلاف المدني بين المدينة والقرية.

- أما تناقض المبدأ مع النظام المطبق. فان مبدأ الحزب نظام جديد بالنسبة للمجتمع الحاضر. وهو يتناقض I مع النظام المطبق في المجتمع تناقضاً تاماً، ولا مجال مطلقاً للالتقاء او التوافق. وذاك ان نظام المبدأ نظام جاء به الوحي من عند الله، وأما النظام المطبق في المجتمع فهو نظام وضعي، أي ان الإنسان هو الذي وضعه انطلاقا من مبدأ آخر هو المبدأ الديمقراطي وهو مبدأ كفر وضعه الإنسان. وقد فرضه الكفار على هذا المجتمع فرضا، وما زالوا يحاولون تركيز مناهجه في أذهان الناس وتركيز الأسس التي بني عليها مثل فكرة الحرية، وفكرة الحل الوسط وغيرهما. ومحاولة التضليل والتوفيق في اوجه الشبه بالفروع او الأسس كتشبيه الديمقراطية بالإسلام في نظام الحكم حيث يتصورون ان نظام الحكم في الإسلام هو الشورى وان الديمقراطية هي الشورى. مع ان الحكم في الإسلام ليس شورى. بل ان الشورى نفسها ليست نظام حكم، وإنما هي – الشورى- أسلوب يستعمله الإنسان – أي إنسان – للتوصل الى رأي حين يلتبس عليه أمر ما. أي أسلوب يستعمله الفرد العادي كما يستعمله الحاكم، ويستعمله الحاكم المسلم كما يستعمله الحاكم الشيوعي او الرأسمالي. والحاكم المسلم يندب له ان يستشير، وليس فرضاً عليه ان يستشير. ومثل هذه الأمور من محاولات التضليل. وأقام الكافر على رقاب الناس حكاماً يطبقون هذا النظام ويروضون الناس لقبوله، ويحاولون إقناعهم بذلك، ووضعوا مناهج التعليم والتثقيف في الأمة على أساسه. فمن البديهي ان يتصدى هؤلاء الحكام للمبدأ الجديد ويحاربوه بكل الوسائل، مثل الدعاية ضده، ومطاردة حملة الدعوة، ومحاربتهم في أرزاقهم، او السجن او التعذيب، او غير ذلك. وعلى هذا فلا بد ان يكون هذا الأمر واضحا عند الشباب منذ عزمهم على حمل الدعوة ليوطدوا العزم على مجابهة هذا الأمر. ولذا لا بد ان يكون لهم العبرة من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما جاء في القرآن الكريم من سير الأنبياء السابقين وموقف أقوامهم منهم. ﴿ما قيل لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ﴾. وقد قص الله تعالى علينا ﷺكما كان يطمئن القرآن رسول الله يجب ان تكون قدوة)سير الكثيرين من الأنبياء وقال ﴿إن في قصصهم لعبرة لأولي الألباب ﴾ وبناءاً عليه الشباب سيرةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يكونوا كلهم استعداداً للمحاربة والتضحية والفداء.

- **اختلاف الثقافة**: من البديهي أن يكون في الأمة ثقافات مختلفة وذلك بسبب تعدد الفئات فيها، فلكل منها II ثقافة معينة يدعو إليها، بالاضافة الى الثقافة التي يفرضها النظام بسبب مناهج التعليم ووسائل الإعلام، بالاضافة الى تعدد الافكار وتباينها واختلافها، فلكلٍ وجهةٌ هو مولّيها. إلا أن الأمة لها إحساس واحد وتكون هذه الأفكار وهذه الثقافات تعبيراً معكوساً عن أحاسيس الأمة. لأنها ليست منبثقة عن عقيدة الأمة ومبدئها.
أما ثقافة المبدأ أي الثقافة الإسلامية فهي التعبير الصادق عن أحاسيس الأمة وشعور الأمة بعزتها وكرامتها، وسيادتها للعالم وقيادته، وليس أمر ذلك ببعيد عنها. فلم تغب قيادتها للعالم أكثر من مائة سنة، ولم تنـزل من مقعدها في مقدمة الأمم الا منذ فترة وجيزة أزالها عن ذلك الكافر المستعمر. إن هذه الحقائق التاريخية توجد لدى الأمة الاحساس العام بأنها يجب أن تعود سيدة العالم، ومفاهيم الأعماق فيها المنبثقة من عقيدتها، والقائلة لها كنتم خير أمة أخرجت للناس، إن هذه الحقائق التاريخية وهذه المفاهيم العقيدية، توجد عندها أحاسيس تدفعها للنهضة. إن هذه الأحاسيس لا تمت الى الثقافة والأفكار المفروضة عليها بصلة، لهذا فهي تعبير عكسي عن أحاسيس الأمة. ويحضرني في هذه المسألة مثال لمسته في كراتشي باحتفال أقيم بذكرى محمد بن القاسم فاتح السند. فقد أحتفل به المسلمون باعتباره هاديهم ومرشدهم الى الاسلام ولو بفتح عسكري. ونقم الهنود الكفار على ذلك باعتباره قاتلاً لبلادهم هادماً لسلطانهم. ولهذا نقول ان أحاسيس العزة والكرامة والمجد تتنافى وتتناقض مع ثقافة نشأت نتيجة هزيمة الأمة وزوال سلطانها، وانبثقت من مبدأ يحتل الصدارة في عدائها.

لهذا كانت هذه الثقافة تعبيراً معكوساً عن حقيقة أحاسيسها. أما ثقافة المبدأ فهي التعبير الحقيقي عن هذه الأحاسيس. ومع ذلك فإن الرأي العام الثقافي في المجتمع، والمنهاج الثقافي المدرسي، ووسائل الأعلام جميعها من صحف ومجلات ونوادي ومعاهد كلها تسير بحسب الثقافة الأجنبية. بالاضافة أن كافة الحركات السياسية الموجودة سائرة مع الثقافة الأجنبية ومتبنية لها.
ولهذا لا بد للحزب في ثقافته من الدخول في صراع عنيف مع الثقافات والأفكار الأخرى. وهذا يتطلب منه الوعي على تلك الثقافات، وبيان مناقضتها للمبدأ، وبيان فسادها، حتى يظهر للأمة التعبير الصحيح عن أحاسيسها وشعورها فتسير معه. ولهذا فان من المحتم أن يجري صراع حاد بين الحزب وغيره من الفئات.
الا انه يجب ان لا يغيب عن الذهن ان هذا الصراع هو صراع أبناء الأمة الواحدة، وليس صراعاً بين المسلمين والكفار. صحيح انه صراع بين أفكار الاسلام وثقافته يقوده مسلمون، وبين أفكار كفر ومفاهيم كفر وثقافة كفر يقودها مسلمون ايضاً. الا أنه يجب ألا يغيب عن الذهن طبيعة هذا الصراع. فهو تصادم بين أبناء الأمة الواحدة، ولذلك **لا** يجوز أن يأخذ دور الجدل العقيم، بل **يكتفى برسم الخط المستقيم أمام الخط الأعوج**، لأن الجدل العقيم يصم الآذان والأبصار. ولهذا فإن على الشاب وهو يخوض مثل هذا الصراع، ان يشرح أفكار الحزب وعقيدته ومفاهيمه مبيناً الأدلة والبراهين، وموضحاً فساد الأفكار الأخرى وزيفها ونقاط بطلانها، بأسلوب فكري مبني على العقل، وشارحاً ما في نتائج هذه الثقافات الفاسدة من أخطار على الأمة، ووجودها كله. وفي هذه الحالة تتحول الأمة عن هذه الثقافات وتتجه الى ثقافة الحزب وفكره. بل ان أصحاب هذه الثقافات قد ينصرفوا عنها إن كانوا مخلصين واعين، لأن زيفها واضح وخطرها متبين.

الا ان هذه العملية هي من أشق العمليات. فهي صراع مع جميع الناس، وكلما كانت البلاد غارقة في الثقافة الأجنبية كلما كانت العملية أشق وأصعب، وكانت قابلية النهضة في البلاد التي تقل فيها الثقافة الأجنبية أيسر وأسهل. وهذا يتطلب معرفة الواقع الذي يعمل فيه الشاب، ليضع له الأساليب المناسبة له. وقد لاحظنا كيف ان القرآن الكريم ما ترك فئة في المجتمع او فكرة خاطئة الا رد عليها، وبين بطلانها، وكشف زيفها بالحجة والبرهان.

- ومن الصعوبات وجود الواقعيين في الأمة، نتيجة لهيمنة الثقافة الأجنبية، وتسميم III الأجواء بالمفاهيم والأفكار الفاسدة.

فنتيجة لغياب الثقافة الإسلامية وعملية التجهيل القائمة لها، والجهل العام المطبق الذي أحاط بالأمة منذ عهد الانحطاط، نشأ من ذلك كله فئتان تمثلان الواقعية. وقد سبق تعريف الواقعية.

أما الفئة الاولى فهي الفئة الواقعية، التي تدعو الى الواقع، والى الرضا بالأمر الواقع، وتسلّم به كأمر حتمي. ولذلك فهي فئة عاملة متحركة لكنها انتهجت هذا النهج وجعلت الواقع مصدر تفكيرها، وعلى أساسه تبحث عن حل لمشاكلها. وهي ما يسمى بالبراجماتية. مع الاختلاف في الأصل، من حيث ان مذهب الواقعيين عند

حملة المبادئ هو التعامل مع الواقع كما هو والاستفادة منه. بينما الواقعية عند الناس المتخلفين والخاضعين لغيرهم تؤدي الى الإقرار بهذا الخضوع وتبحث عن كيفية التعامل مع هذا الواقع. ولهذا كان الواقع مصدر تفكيرها. ولكونها فئة **عاملة متحركة** فان التعامل معها سهل، فلا تحتاج لأكثر من التعمق معها في البحث، وإقناعها بان الواقع يجب ان يكون موضع التفكير لا مصدر التفكير، ولا بد من تغيير الواقع تبعاً للفكرة التي نؤمن بها، **وليس التخلي عن الفكرة**، او تأجيلها للتكيف مع الواقع. وبذلك يمكن ان ترجع عن تفكيرها، وأن يستفاد منها من حيث انها فئة عاملة متحركة، يراد تصحيح خط سيرها، وتوضيح طريقة التفكير الصحيحة لها.

وأما الفئة الثانية من الواقعيين، فهي فئة **الظلاميين** التي تأبى ان تعيش في النور، لأنها ألفت الحياة في الظلام وتعودت التفاهة والسطحية. أصيبت بمرض الكسل الجسمي والكسل العقلي، وجمدت على القديم. ولذلك فهي واقعية فعلاً لأنها من جنس الواقع، وهي جامدة فكراً. ومثل هذه الفئة تحتاج الى معاناة أكبر. **وطريقة التغلب على صعوبتها**، هي محاولة تثقيفها، والاجتهاد في تصحيح مفاهيمها. الا أن الصعوبة الأكبر هي عملية إقناعها بقبول التثقيف. لأن التثقيف عمل، وهي جامدة ليس عندها الاستعداد للعمل. ولهذا أرى أن عملية إثارتها والضرب على أوتار حساسة عندها يمكن ان يخرجاها عن جمودها. وإلا فان العمل على إبعادها عن وسطها المتأثر بها او إبعاد وسطها عنها هو العلاج الناجح. ومن أولئك: العلماء والزعماء والموجهون، الذين لهم وسط يعيشون فيه. فلا بد من اختبار الأساليب المناسبة لابعاد أثرهم عن الوسط الذي يعيشون فيه، وإنفضاض الناس عنهم . فهم آخر من يؤمن، وأول من يحاول العصيان.

IV - **إرتباط الناس بمصالحهم**. إن الانسان يرتبط بمصالحه الشخصية، وأعماله اليومية. ولذلك فان من الصعوبة التأثير على الناس وكسبهم لجسم الحزب او لاحتضانه لان ذلك يتناقض مع مصالحهم المرتبطة بالنظام وأعوان النظام ومنفذيه. والكافر كان حريصاً على أن يستولي على الناس من بطونها ليصل الى أفكارها. ولما كان الحزب لا يملك القدرة على تأمين مصالح الناس وتحقيقها فان امكانية تأثيره في الناس تكون قليلة، وذلك لانحطاط الناحية الفكرية في الأمة، وحرصها على تحقيق مصالحها. وحتى لو تأثرت بالناحية الفكرية فانها لا ينتظر منها الاندفاع فيها، الا بأمل قوي ونفس قصير. ولأصبحت كما قال الفرزدق عن أهل العراق للحسين بن علي رضوان الله عليهما " قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية ".

هذا من حيث الناس والمجتمع. أما من حيث الشاب العضو في الحزب، فلا بد له ان يؤمن الايمان المطلق أن وجوده في الحياة إنما هو من أجل الاسلام، فهو يحيى به ومن أجله. وبهذا يكون المبدأ والحزب هما المركز الذي تدور حوله مصالحه الشخصية، بل ان ما يكسبه في الحياة إنما هو من أجل إعانته على حمل هذا المبدأ والمحافظة عليه. أي انه شرى نفسه وماله ابتغاء مرضاة الله في حمله للدعوة. وفي هذه الحالة **لا** يجوز له ان يشتغل في عمل يتناقض مع الدعوة، أي فيه مخالفة شرعية، سواء في طبيعته كالعمل الحرام، مثل العمل في البنك او مزاولة القمار او ما شاكل ذلك، او عضواً في مؤسسة تتعامل بالحرام كالصيرفة والشركات المساهمة وأمثالها. كما **لا** يجوز له ان يعمل في عمل ينسيه الدعوة او يعوقه عنها كالعمل سحابة النهار وشطراً من الليل في عمل ليس للدعوة فيه وجود، أي انه لا يمكنه من الاتصال بالناس والاحتكاك بهم ومناقشتهم او دعوتهم لفكرته. والأمثلة على ذلك كثيرة. كأن يعمل مزارعاً في مزرعة تأخذ عليه وقته كله، او في معمل او مصنع او غير ذلك. فإذا التزم بمثل هذا، أي امتنع عن الشغل في عمل متناقض مع الدعوة، او في عمل ينسيه الدعوة، فانه يكون في هذه الحالة قد تخطى هذه الصعوبات، وجعل الدعوة مركز تنبهه وقطب الرحى في دائرة مصالحه. وأصبحت مصالحه تدور حول الدعوة، فهي الأساس في حياته. وأبعد عن كون الدعوة تدور حول مصالحه. فهو يدعو لها وقت فراغه ويتركها عند تعارضها مع مصالحه، او حين تهدد مصالحه، او يلحقه منها أذى.

V - ومن الصعوبات في مثل هذا المجتمع المنحط، **إيجاد مفاهيم التضحية والفداء** وتركيز معنى قوله تعالى (﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ﴾) بالمال والتجارة ومباهج **فمفهوم التضحية** الحياة الدنيا وزينتها في سبيل الله، أي الدعوة الى الإسلام، يجب ان يتركز كمفهوم عند شباب الدعوة عن قناعة وإيمان، لا بالأمر والإلزام. ولذلك يكتفى معهم بالتذكير، ويترك لهم الخيار في التضحية في هذه الشؤون، فلا يستكرهون على شيء. ولكن يلاحظ فيهم مدى استعدادهم للقيام بمثل هذه التضحيات، حتى اذا

لمس ضعف في هذا الجانب يُعمل على تنميته بمعالجة منطقة إيمانه، وتوضيح مفاهيم الرزق، والتوكل على الله، وسبب الموت وغير ذلك من أفكار العقيدة.
كتب عليه الصلاة و السلام كتاباً لعبد الله بن جحش حين بعثه على رأس سرية ليترصد قريشاً في نخلة بين مكة والطائف، وقد جاء في ذلك الكتاب " **ولا تكرهنّ أحداً من أصحابك على المسير معك، وامضي لأمري فيمن تبعك** ". أي ان توضح الفكرة للشاب ويذكّر بها ويترك له خيار العمل والالتزام بالتكليف الخاص.

هذه هي بعض أهم الصعوبات التي تجابه الحزب، وهذه هي كيفية تخطي هذه الصعوبات. **أما ما يتوهّم أنه صعوبة مما يسمى بالاختلاف المدني**، وتلك حجة من امتنعوا عن الوحدة بين الاقطار التي كانوا يحكمونها مع ان الوحدة هدف من أهدافهم كما يزعمون. فحزب البعث مثلا كان حاكما في سورية والعراق وقبل ان يصبح حزبين، أي حين كانت قيادته قومية واحدة، إمتنع عن دمج القطرين بحجة الاختلاف المدني بين سورية والعراق. ان الاختلاف المدني في المجتمعات أمر بديهي، فأوساط المدن غير أوساط القرى والأرياف وغير أوساط البدو. والمظاهر المدنية في المدينة غيرها في القرية، وغيرها في مضارب الخيام. وقد يوحي هذا باختلاف الثقافة، وبالتالي اختلاف التثقيف او التوجيه المبدئي. وهذا من أخطر الاشياء لأن الأمة مهما اختلفت فيها الأوساط المدنية فإحساسها واحد وفكرها واحد، ومبدأها واحد. ولذلك لا بد ان تكون الدعوة فيها واحدة، لا فرق بين مدينة وقرية، وأن يكون العمل للتفاعل معها واحداً. ولهذا فإننا لا نعتبر ان الاختلاف المدني عقبة او صعوبة في وجه الدعوة.

17 – يتعرض الحزب في هذه المرحلة، أي مرحلة التفاعل الى خطرين.
خطر على المبدأ، وخطر طبقي.
أما **الخطر المبدئي** فانه يتأتى من تيار الجماعة، والرغبة في الاستجابة لطلباتها الملحة، ومن تغلب الرواسب الموجودة في آراء الجماعة على الفكرة الحزبية. وبيان ذلك، ان الحزب حين يخوض المجتمع للتفاعل معه مزوداً بالمبدأ فإنه يصطدم بمجتمع مليء بالمتناقضات، مما ورثه عن الجيل السابق، ومن أفكار رجعية قديمة، ومما أوجده الكفار فيه من مفاهيم مغلوطة، او آراء سياسية او فكرية، او من مقاييس نفعية او مصلحية. والاصطدام بالمجتمع بما فيه من هذه الافكار سيؤدي حتما الى التفاعل معه وأخذ قيادته على أساس المبدأ. فعلى الحزب ان يجيد إنزال أفكاره على الوقائع الجارية وان يظهر بطلان وفساد ما في المجتمع من آراء وأفكار، وان يعمل على إيجاد العرف العام الصالح القائم على المفاهيم المنبثقة عن هذا المبدأ حتى ينجح في قيادة الأمة، لتحتضن فكرته، وتسلس الانقياد له. وهذا ما يسهل أمامه عملية تنمية جسمه، والإكثار من عدد شبابه المؤمنين العاملين، ليكونوا القادة الفعليين للأمة يتصرفون معها تصرف الضابط في قيادة الجيش. فان أجاد الحزب ذلك، أمِن الانحراف، وضمن انقياد الأمة له حسب المبدأ. لأن انقيادها في هذه الحالة، انقياد وعي، وليس انقياداً عاطفياً أعمى، وهذا هو الطريق السليم.

أما اذا لجأ الحزب الى طريق أقصر، وأراد ان يقود الجمهور قبل ان يكتمل التفاعل، وقبل ان يوجد الوعي العام عند الأمة، فان هذه القيادة لا تكون بالأفكار، وهذا الإنقياد منها لا يكون بناءاً على مفاهيم، وإنما إنقياد عاطفة سرعان ما تخبو وتزول. نعم، إنه من السهل انقياد الأمة انقياداً عاطفياً، وذلك بإثارة ما يجيش في صدرها من مشاعر، وما يكتنفها من أحاسيس، وتصوير مطالبها وغاياتها بأنها قريبة المنال. فان مثل هذا التصوير والإثارة في الأمة أشبه بالخمر المعتّقة، فاذا كررت هذه الإثارة وهذا التصوير أفقد الأمة الوعي، وانقادت انقياداً أعمى وراءه تريد تحقيق أهدافها وغاياتها، مستسلمةً له، وتنقاد حسب أمره، فيسوقها سوقاً بعاطفتها لا بفكرها. ويكون أعضاؤه هم القادة لها.

الا ان هذا النوع من القيادة والانقياد يشكل الخطر المبدئي على الحزب. وذلك ان هذا الجمهور المشبع بالتناقضات، المليء بالمشاعر الوطنية والقومية والروحية والكهنوتية، يثير التحرك الجماعي فيه عادةً مثل هذه المشاعر، فتظهر في المجتمع العنعنات التافهة مثل الطائفية والمذهبية والافكار القديمة كالاستقلال والحرية، كما تظهر فيه النعرات الفاسدة كالعنصرية والعائلية، فيبدأ التناقض بين المجتمع والحزب. لأن المجتمع المندفع بهذا الحماس، يحاول ان يفرض لنفسه مطالب وأهداف، وينادي بغايات آنية أنانية مضرّة بالأمة، وفي الوقت نفسه تتعارض مع المبدأ. ويزيد اندفاع هذا المجتمع مطالباً بتنفيذ ما يريد، فيصبح الحزب بين نارين: الإلتزام بالمبدأ، وتخلّي الجمهور عنه، أو التخلّي عن المبدأ والإلتزام بالجمهور. وهما أمران أحلاهما مرّ.

فالإلتزام بالمبدأ يعني غضب الأمة ونقمتها، وهدم ما بنى، وإبعاده عن القيادة، او السيطرة على الجماعة، وهذه خسارة كبيرة جداً.

أما الأمر الثاني وهو التمسك بالأمة والتخلي عن المبدأ، او التساهل فيه، فهذا يعني **انتحاراً سياسياً**، وفقداناً لروح الحزب. ولذلك كان على رجال الحزب أن يلتزموا المبدأ حين يتعارض المبدأ مع مطالب الجمهور ولو تعرضوا لنقمة الأمة، لأنها نقمة لا تلبث ان تزول، وهي سحابة صيف لا تلبث ان تنقشع، وثباتهم على المبدأ سيعيد لهم ثقة الأمة بشكل أقوى مما كان. والحذَر كل الحذر من مخالفة أي حكم من أحكام المبدأ او التهاون فيه، او الحيد عنه قيد شعرة، لأن المبدأ هو حياة الحزب وهو روحه. وهو الذي يضمن له البقاء والتجدد، حتى لو انفضّ عنه الناس جميعاً، وانفضّ عنه جزء من شبابه، فلا يجوز له التهاون في المبدأ او في أي حكم من أحكامه.

ولهذا كان على الحزب أن يديم صلته بالناس على اساس المبدأ وأن يعمل دائماً على إنزال أفكاره وأحكامه على الوقائع الجارية مبنية على أدلّتها، مستندةً الى قاعدتها، حريصاً على ايجاد القاعدة الفكرية عند الأمة وتعويدها قياس الأحداث والوقائع على هذه القاعدة المبدئية. فجعل العقيدة يقينية عقلية يضمن إبعاد الخرافات والخزعبلات، والافكار العقيدية السقيمة. وجعل الشريعة وحياً من عند الله، ومقياس الحكم الشرعي هو **دليله** الذي جاءت به العقيدة، أي الآية او الحديث، يُبعد المقاييس العقلية عن الأحكام والأفعال وينفي تحكيم العقل في الأحكام الشرعية ويبعد تحكيم النفعية والمصلحية عن جعلها مقياساً للمطالب والأحكام. وهذا يتطلب الاعتناء الكامل في مرحلة التثقيف بايجاد القدرة لدى الشباب على تثبيت هذه القواعد عند الأمة. لجعلها المقاييس التي تعود اليها حين تفكر في أي مطلب لها او تسعى لأي هدف. وبمقدار نجاح الحزب في مرحلة التثقيف وتوعية الناس على ما عنده من مقاييس وقواعد، ونقل الأمة لايجاد قاعدة فكرية لها، بمقدار ما يتلافى خطر هذا الخطر المبدئي.
هذا بالاضافة الى وجوب التنقيب دائماً في افكار الحزب ومفاهيمه لبقائها صافية نقية، ودوام السهر على مصالح الأمة ومحاولة رعايتها، ومراقبة ما يكيد الكفار لهذه الأمة وكشف خططهم وأساليبهم وأعوانهم كشفاً دقيقاً، ودون مداهنة او خداع.

وأما **الخطر الطبقي**، فانه يتسرب الى رجال الحزب **لا الى الأمة**. وهذا يكون حين يصبح الحزب ممثلاً لأكثرية الأمة، وهو القائد الفعلي لها، تكون له المكانة المرموقة، والمنزلة الموقرة، والإكبار التام من قبل الأمة والخاصة من الناس. ومثل هذه الحالة تبعث الغرور في النفس. فقد يرى رجال الحزب او بعضهم انهم أعلى مكانة من الأمة، وأفضل منها، وأن منهم الأمر وعلى الأمة الطاعة. فيترفعون عن الناس، دون أن يحسبوا لذلك حساباً. إلا ان ذلك سيؤدي الى تكوين فكرة عند الأمة أن هذا الحزب طبقة اخرى غيرها، وصار الحزب كذلك يشعر بالطبقية. وهذا اول طريق الإنهيار، لأن مكانة الحزب وقدرته على العمل إنما تكمن في مقدار ثقة الأمة بالحزب وخصوصاً البسطاء من الناس وهم العامة. فاذا أنفضت الأمة عنه نتيجة شعورها بأنه طبقة أخرى مستعلية عليها، فان حركة الحزب تُشلّ، ويفقد القدرة على تصريف أعماله، ويسهّل الطريق لخصومه للكيد له. ولا يستطيع إعادة الثقة به الا بجهود مضنية، وأعمال عظيمة، لاستعادة هذه الثقة الذي اشتغل في سبيل تحصيلها عقوداً من الزمن. ولذلك فان على أعضاء الحزب ان يكون منطلقهم الوحيد في عملهم السياسي قاعدة واحدة **"أنهم خدم الأمة"**. وأن يُشعروا الأمة بذلك لتزداد ثقة الأمة بهم. فقد إكتوت بنار الطبقية الحزبية في كثير من أقطارها، خصوصاً وأن المفاهيم والأفكار التي حملناها للأمة في المرحلة السابقة تنصّ صراحةً على ان القيادة هي خدمة الأمة، او أن من يكون في مركز المسؤولية، عليه دوام السهر على راحة الناس ومصالحهم، حتى قيل وهذا قول حق "أمير القوم خادمهم".

18- المرحلة الثالثة هي **مرحلة الوصول الى الحكم**. سبق أن بيّنا ان كل مرحلة يسبقها نقطة، ومنها ان مرحلة الحكم يسبقها نقطة الإرتكاز، أي ان مرحلة الحكم تتضمنها نقطة الإرتكاز. ويدخل الحزب نقطة الإرتكاز حين يدرك ان الأمة قد إحتضنت الفكرة أولاً، ثم إحتضنت حمَلَة هذه الفكرة، أي إحتضنت المبدأ، وحملت هذا المبدأ. فاذا تحقق ذلك، انتقل الحزب انتقالاً طبيعياً الى نقطة الإرتكاز وهي البحث عن مراكز القوى لدفعهم الى نصرة المبدأ، والعمل على ايصاله للحكم، أي لتنفيذه على الناس. وهذا يتطلب ان يضيف الحزب الى أعماله الأربعة عملاً آخر، وهو البحث عن مراكز القوى وتحميلهم هذا المبدأ. إلا ان هذا العمل قد لا يكون شاملاً لكل أجهزة الحزب، بل قد يخصص له جهاز خاص مرتبط بقيادة الحزب او ان تباشره القيادة نفسها. هذه هي بداية نقطة الإرتكاز، ثم يصار الى المعنى الثاني من نقطة الإرتكاز، وهي استلام الحكم في

قطر من الأقطار ليكون نقطة إرتكاز لجميع الأقطار الأخرى، وتوحيد الأمة في دولة واحدة هي دولة الخلافة.
أما نقطة الإرتكاز بشموليتها فهي تعني انتقال الحزب من مرحلة التفاعل بعد حصول التفاعل للبحث عن مراكز القوى. **ويجب الا يغيب عن الذهن أن الانتقال من مرحلة الى اخرى لا يعني ترك ما كان يقوم له من أعمال، بل إضافة اعمال جديدة الى ما كان يقوم به من اعمال.**

ففي مرحلة التثقيف كان يقوم بالتثقيف الجماعي والتثقيف المركّز. وحين انتقل الى مرحلة التفاعل أضاف الى عمليه السابقين عملين آخرين هما كشف خطط الاستعمار وتبني مصالح الأمة. وحين انتقل الى نقطة الإرتكاز أضاف الى اعماله عملاً آخر، هو **طلب النصرة**. واستمر في التثقيف المركز والجماعي، وكشف الخطط وتبنّي المصالح وما يتطلبه ذلك من وسائل وما يلزمه من إبداع في الأساليب. فاذا انتقل الى المرحلة الثالثة كان انتقاله طبيعياً، وسار في تطبيق المبدأ سيراً طبيعياً. كما انه سار في عمله – إنهاض الأمة – لا يتخلى عنه حيث أن هدفه وغايته استئناف الحياة الاسلامية، وهذا لا يتأتى الا بايجاد النهضة فيها، وايجاد النهضة يتطلب جهوداً جبارة قبل استلام الحكم وبعده، الا ان اعماله تصبح التثقيف المركز والتثقيف الجماعي ومراقبة الحاكم ومحاسبته
اما كيف يتم الانتقال الى مرحلة الحكم، فان ذلك يتم عن طريق الأمة. وينفّذ تنفيذاً إنقلابياً دفعة واحدةً، وهذا ما يسمى **بالطريقة الانقلابية**. وهذه الطريقة لا تقبل الحكم مجزّاً، بل تأخذ الحكم كله وتتخذه طريقة لتنفيذ المبدأ. كما أنها لا تقبل التدريج في التطبيق. **أي** انها تطبّقه منذ اليوم الأول كاملاً – مهما كانت الظروف.
إذن فالطريقة الإنقلابية الشاملة تعني أخذ الحكم كله دفعة واحدةً وليس التسلل الى الحكم بوزارة ثم إثنتين وهكذا حتى يتم الاستيلاء على الحكم، بل تأخذه كاملاً منذ اليوم الأول. كما أنها تعني عدم التدرج في التنفيذ.
بل انها تنفذ كافة الأحكام ولا تبقي مسألة واحدة خارجة عن أحكام المبدأ، او ان تتدرج بها حتى توصلها الى تدرّج في تطبيق الأحكام، مثل أحكام الربا وأحكام الخمر وأحكام ﷺحكم الحالي، كما قيل من أن رسول الله كان يلتزم التشريع، ولا شرعَ قبل ورود الشرع، فكان يسير بالشرع ﷺالرقيق. لا يقال ذلك، لأن رسول الله كما نزل. واليوم قد اكتمل الشرع وليس لأحد أن يزيد ان يُنقص فيه. فهذه الحالة التي عليها الشرع اليوم هي الواجبة التنفيذ.
وبمجرد الوصول الى الحكم تبدأ الدولة بالسير في أمور ثلاث هي:
الأول تنفيذ المبدأ من حيث أنها هي الطريقة الوحيدة لتنفيذ المبدأ.
ثانياً العمل على **جمع** أقطار العالم الاسلامي في دولة واحدة.
وثالثاً – وهو العمل الأصلي لها – هو حمل المبدأ الى العالم. فتضع في ميزانيتها باباً خاصاً للدعوة والدعاة.

أما الحزب فيبقى قائماً على العمل على نهضة الأمة بأعمال ثلاث هي:
التثقيف المركز والتثقيف الجماعي ومراقبة تنفيذ المبدأ ومحاسبة الحاكم
سواء كان رجاله في الحكم او لم يكونوا في الحكم.

هذه هي الخطوات التي يسير فيها الحزب في معترك الحياة، لينقل الفكرة الى الدور العملي، أي لاستئناف الحياة الاسلامية، ونهضة الأمة، وحمل الدعوة الى العالم.
فالحزب هو الضمانة لايجاد الفكرة وإقامة الدولة وتطبيق الاسلام وحمله الى العالم، ومراقبة سير التطبيق، وفي الوقت نفسه حمل الدعوة للإرتقاء بالأمة او الى العالم.